علم نفي اللاهوت في الدراسات الإلحادية
مشروعية المصطلح وصلاحية الأدوات
دراسة نقدية

د/ أحمد رضا عبد الحميد حسني
مدرس بقسم الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعة الأزهر الشريف

ملخص البحث

علم نفي اللاهوت في الدراسات الإلحادية
مشروعية المصطلح وصلاحية الأدوات ـ دراسة نقدية

د/ أحمد رضا عبد الحميد حسني
قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة،جامعة الأزهر، مصر
البريد الإليكتروني :ahmedkoridy.١٣@azhar.edu.eg

الملخص :

يهدف البحث إلى تفنيد إمكانية تحول الإلحاد إلى علم (تحت مسمى علم نفي اللاهوت)، له دعائم فلسفية وأدوات تقنية تمكن الملاحدة من ادعاء رصانة الإلحاد ومنهجيته وعلميته، وذلك من خلال تطبيق معايير العلمية في الفكرين الإسلامي والغربي؛ وقد تبين من خلال هذا التطبيق الموضوعي لمعايير العلمية في الفكرين (الإسلامي والغربي) أن ما يسمى (علم نفي اللاهوت) لا يمكن اعتباره علما؛ بل قصارى ما يمكن تسميته به (شبهات – دعاوى – أفكار)؛ فقد افتقر (علم نفي اللاهوت) إلى أبسط قواعد المنطق والتلاؤم بين أجزاءه، فهوفي الحقيقة مجموعة من الشبهات النافية لكل ما أثبتته الأديان، وكذلك هدف البحث إلى رصد وتتبع الأدوات التي يستخدمها الممارسون لتقنيات (نفي اللاهوت) وبيان عدم صلاحيتها لبناء علم، وذلك لعدم عموميتها؛ فما تنتجه من نتائج قاصرة عن استيعاب كل الأديان والإسلام خاصة، ويبين هذا القصور حقيقة لا يمكن أن يرتقي إليها شك عند الباحث المنصف هي أن : مبررات الإلحاد ليس لها وجود في البيئة الإسلامية الوسطية، وأن سلوك المتطرفين فكريا سواء كان تطرفهم (علمانيا) أم (إسلامويا) هو المسئول عن تبرير سلوك الملاحدة في البيئة الإسلامية، وليس الإسلام على كل حال، وقد استخدم الباحث المنهج النقدي بعد الوصف والتحليل لبيان تهافت تلك الدعاوى وبيان عدم واقعيتها، وقد توصل الباحث إلى : تفنيد علمية (علم نفي اللاهوت) وفساد أدواته وعدم صلاحيته مقرونا بمثال لتطبيق هذه الأدوات ما يؤكد فسادها وعدم صلاحيتها.

الكلمات المفتاحية : (نفي- اللاهوت – علمية - الإلحاد – الإلحاد - الفلسفي – أخلاق ما بعد الأديان).

responsible for justifying the behavior of atheists in the Islamic environment, and not Islam in any case. The researcher used the critical method after description and analysis to demonstrate the fallacy of these claims and to show their lack of reality. The researcher concluded with: The scientific refutation (the science of theological negation) and the corruption of its tools and their unsuitability, accompanied by an example of applying these tools, which confirms their corruption and unsuitability.

Keywords: (Theological Negation – Scientific - Atheism – Philosophical - Atheism – Post-Religious Ethics).

Research summary

The Science of Theological Negation in Atheistic Studies: Legitimacy of the Term and the Suitability of Its Tools – A Critical Study

Dr: Ahmed Reda Abdel Hamid Hosni
Department of Religions and Doctrines, Faculty of Islamic Da'wah, Cairo, Al-Azhar University, Egypt
Email: ahmedkoridy.١٣@azhar.edu.eg

Abstract:
This research aims to refute the possibility of transforming atheism into a science (under the name 'The Science of Theological Negation'), which allegedly has philosophical foundations and technical tools that enable atheists to claim the rigor, methodology, and scientific nature of atheism. This is achieved by applying the criteria of scientificity in both Islamic and Western thought. Through the objective application of scientific standards in both (Islamic and Western) thought, it has become evident that what is called the 'Science of Theological Negation' cannot be considered a science; at most, it can be termed as 'doubts, claims, or ideas.' The 'Science of Theological Negation' lacks even the most basic rules of logic and coherence among its components; it is, in fact, a collection of nullifying doubts against all that religions have established. The research also aims to monitor and track the tools used by practitioners of 'theological negation' techniques and demonstrate their unsuitability for constructing a science due to their lack of universality; the results they produce are limited and fail to encompass all religions, Islam in particular. This demonstrates the insufficiency. A fact that cannot be denied by a fair-minded researcher is that: justifications for atheism do not exist in the moderate Islamic environment, and that the intellectual extremism of extremists, whether their extremism is (secular) or (Islamist), is

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد ،،،

فنعيش في هذه العصور عدة ظواهر معرفية لم يكن للإنسان عهد بها قبل عصرنا الحالي، منها (التشظي المعرفي؛ تفتت التخصصات؛ التخصصات الدقيقة)، وفي خضم هذا الزخم المعرفي والتخمة التخصصية، ظن الملاحدة أن بإمكانهم إنشاء علم يجمع جهدهم في محاربة الأديان، وجعلوا له تاريخا وأدوات ووسائل وعلوم مساعدة وغير ذلك.

وقد اقترح (مشيل أونفري)([1]) تسميته (بعلم نفي اللاهوت)، وفاتهم أن الدعوى المجردة لا تضفي مشروعية على علمهم المزعوم، بل لابد من تطبيق شروط العلمية عليه، وفحص وسائله وأدواته، لنتبين مشروعية المصطلح وصلاحية الأدوات من خلال تطبيق معايير العلمية في الفكرين الإسلامي والغربي عليه.

ونبادر إلى القول بأن الإلحاد لا يمكن أن يتحول إلى (علم) تحت أي مسمى كان، لأنه يحمل معنى عدمي؛ فهو يقوم على نفي ما تقرره الأديان، ولا يمكنه تقديم بديل معرفي أنطولوجي للأديان، وهذا ما أثبته البحث بعون الله – تعالى - .

أسباب اختيار الموضوع :

١-الدعوى العريضة لتحول الإلحاد إلى علم تحت مسمى (علم نفي اللاهوت).

٢- الدعاية لمصطلح (نفي اللاهوت) في الكتابات العربية المعاصرة، ما جعل تفنيد المصطلح مهمة عاجلة .

٣- كثافة الترجمات المعاصرة للمؤلفات الفلسفية النافية للاهوت، ما يؤكد وجود حملة ممنهجة لنشر هذه الأفكار في المجتمعات الإسلامية، ما يفرض على علماء الإسلام مواجتها سريعا . .

٤- شعور الثقة الذي انتاب الملاحدة خاصة على وسائل التواصل الاجتماعي بعد صك هذا المصطلح(علم نفي اللاهوت) ما يجعل تفنيد

---

[1]- فيلسوف فرنسي معاصر، وقد اقترح هذه التسمية في كتابه (نفي اللاهوت: ميشيل أونفري، ترجمة / مبارك العروسي، ط منشورات الجمل (بغداد) أولى ٢٠١٢م، وسيأتي تفصيل ذلك في ثنايا البحث إن شاء الله .

مشروعية هذا المصطلح للقضاء على هذه النشوة واجبا .

أهداف البحث :

١- تنفيد مشروعية مصطلح (علم نفي اللاهوت) .
٢- المساهمة في القضاء على ظاهرة فوضى المصطلحات .
٣- بيان فساد أدوات ما يسمى (علم نفي اللاهوت).
٤- بيان الأضرار المترتبة على تطبيق أدوات علم نفي اللاهوت .

إشكالية البحث :

يدور البحث حول إشكالية واحدة هي : مدى مشروعية تحويل جهود الملاحدة في محاربة الأديان إلى علم تحت مسمى (علم نفي اللاهوت)، ومدى صلاحية أدوات هذا العلم المزعوم وإمكانية تطبيقها على الأديان، وبيان فساد هذه المزاعم جميعا .

تساؤلات الدراسة :

١- هل الإلحاد علم ؟
٢- ما مشروعية إطلاق (علم نفي اللاهوت) على الإلحاد ؟
٣- ما علاقة التسمية (بعلم نفي اللاهوت) بالإلحاد المعروف ؟
٤- ما هي وسائل (علم نفي اللاهوت) وأدواته؟
٥- ما خطورة تطبيق هذه الوسائل والأدوات على الأديان ؟

حدود البحث :

يعتمد البحث على الكتابات الناقدة للدين في العصر الحديث والمعاصر، و يشمل الاستعانة بالكتابات الغربية والعربية على وجه العموم .

منهج البحث :

اتبع الباحث المنهج التاريخي للتعرف علة الأفكار ونسبتها لأصحابها، والمنهج النقدي بمرحلتيه (النقد الداخلي – النقد الخارجي)، بعد الوصف والتحليل، لمضمون وتاريخ المصطلح المراد دراسته، وبيان صلاحيته وصلاحية أدواته .

الدراسات السابقة :

لم أقف على بحوث أو كتابات ناقشت (علم نفي اللاهوت) من حيث صلاحية المصطلح والأدوات، ووجدت دراسة واحدة حول (نفي اللاهوت) وهي:

نفي اللاهوت (ما بعد الفوضوية) ميشال أونفري أنمموذجا : بوبكري إلهام - ورقة بحثية منشورة بمجلة دراسات - تصدر عن كلية العلوم

الإنسانية والعلوم الاجتماعية – جامعة قسطنطينة ٢ – الجزائر - عدد ١ مجلد ١٦ – ٢٠٢٥م ، وقد تناول الباحث التعريف (أونفري) فيلسوفا لما بعد الفوضوية، واستعراض لمبادئ نفي اللاهوت عند(أونفري) من خلال مبادئ ما بعد الفوضوية – نقد (جاك أتالي) و(إريك زمور) للنظرة التشاؤمية عند(أونفري).

وواضح الفرق بين البحث الحالي وهذه الورقة، فقد اقتصرت على (ميشيل أونفري) فقط وبينت تطبيقاته (ما بعد الفوضوية) على الأديان في إجمال واضح، بينما تضمن البحث الحالي ما يلي:

التعريف بمصطلح (علم نفي اللاهوت)، وتطبيق معايير العلمية في الفكر الإسلامي والغربي عليه لبيان عدم مشروعية الإطلاق علميا – استعراض لوسائل وأدوات (علم نفي اللاهوت)، والحكم بعدم صلاحيتها للتطبيق على بعض الأديان (الإسلام) ما يطعن في إمكانية تأسيس العلم عليها، وأخيرا تضمن البحث نموذجا لتطبيق هذه الأدوات على (أخلا قما بعد الأديان) وهوملا نجد له ذكرا في الورقة البحثية السابق الإشارة إليها.

خطة البحث :

التمهيد وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : التعريف بعلم نفي اللاهوت .

المسألة الثانية : الإلحاد الإيجابي وصلته بنفي اللاهوت .

المبحث الأول : معايير العلم وتطبيقها على (علم نفي اللاهوت) وفيه

المطلب الأول : معايير العلم في الفكر الإسلامي والغربي .

المطلب الثاني : تطبيق معايير العلم على (علم نفي اللاهوت) .

المبحث الثاني : أدوات علم نفي اللاهوت ووسائله ومدى صلاحيتها وفيه :

المطلب الأول : الاستمداد من الفلسفات الغربية المادية .

المطلب الثاني : إبراز مظلومية الفكر الحر (الإلحادي) .

المطلب الثالث : التسوية بين الأديان عموما والإبراهيمية خصوصا .

المطلب الرابع : التشكيك في الشخصيات والمصادر الدينية .

المطلب الخامس : التحريض ضد الأديان عموما والإسلام خصوصا .

المبحث الثالث : نموذج تطبيقي لأدوات نفي اللاهوت (أخلاق ما بعد الأديان) وفيه :

المطلب الأول : مبررات البحث عن أخلاق ما بعد الأديان .

التمهيد

المسألة الأولى

التعريف بعلم نفي اللاهوت (Atheologi)

هو اصطلاح يدل على معنى (إنكار الوجود الإلهي)، ويتكون من حيث اللغة من تضايف ثلاثة مصطلحات (علم – نفي – اللاهوت)، ونعرف بمكوناته من حيث اللغة فيما يلي :

تعريف العلم :

يأتي العلم في اللغة بمعنى اليقين والمعرفة ([1])

تعريف النفي :

تدور مادة (ن ف ي) حول معنى الإنكار والدفع والطرد والإخراج، جاء في (المصباح المنير)،" قيل لكل شيء تدفعه ولا تثبته نفيته فانتفى"([2])

تعريف اللاهوت :

كل ما يتعلق بالألوهية، جاء في (المعجم الوسيط):" اللاهوت: الألوهية كما يقال الناسوت لطبيعة الإنسان، وعلم اللاهوت: علم يبحث عن العقائد المتعلقة بالله، اللاهوتي: العالم بالعقائد المتعلقة بالله"([3])

مما سبق يتضح أن المفهوم اللغوي لمكونات مصطلح (نفي اللاهوت) تؤدي معنى إنكار معرفة أو اليقين بما يتعلق بالله – تعالى - .

تعريف (نفي اللاهوت) اصطلاحا : يعرف علم نفي اللاهوت بكونه :" السير المضاد لعلم اللاهوت، والنهج الذي يزوِّر الخطاب حول الله في

---

[1]-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين (بيروت) رابعة ١٩٨٧م ، ج٥ ص ١٩٩٠ مادة (علم) .

[2]- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – (بيروت)، ج ٢ ص ٦١٩ – مادة (ن ف ي) ويراجع أيضا / تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق/ جماعة من المختصين، ط وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية – المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، ٢٠٠١م ، ج ٤٠ ص ١١٦ – ١١٧

[3]- المعجم الوسيط: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع اللغة العربية (القاهرة) ط٢ ١٩٧٢م، ج٢ ص ٨٤١ – باب اللام – ويراجع / المعجم الفلسفي : جميل صليبا، طدار الكتاب اللبناني (بيروت) ١٩٨٢م، ج ٢ ص ٢٧٧

منابعه، لكي يحلل إوالياته عن قرب، بغية اكتشاف الوجه الآخر لديكور مسرح كوني مشبع بالفكرة التوحيدية، إنها فرصة للتفكيك الفلسفي "([1])

ويمكننا أن نسبط هذا التعريف بالقول : إن (علم نفي اللاهوت) يقوم على مناقضة ما يتعلق بالله – تعالى – في الأديان عموما والأديان التوحيدية على وجه الخصوص، ويحلل المشتركات التي يقوم عليها الدين عموما، عبر تفكيك فلسفي، يقوم على نتاج فلاسفة ما بعد (كانط ١٨٠٤م) ومنهم (فيورباخ ١٨٧٢م – نيتشه ١٩٠٠م – ماركس ١٨٨٣م – فرويد١٩٣٩م)، حيث تم تحويل أسلحة العقل ضد الوجود الذاتي للإله، واعتبرت فكرة الإله تخييلا ووهما .

وقد ظهر هذا الاصطلاح على يد (جورج بطاي)([2])، وقد تبناه (ميشيل أونفري) ([3]) وأعطاه بعدا جديدا؛ حيث اعتبره أجدر للتعبير عن فكرة (نفي الإله) من مصطلح (الإلحاد) الذي اعتبره تقزيما لفكرة (نفي الإله) ووصما لنافي الإله بالنقص والسفة والخروج على مقتضيات العقل والعرف، فضلا عن كونه من اختراعات المتدينين الذين وصموا به تاريخيا كل من خرج عن سلطة الإله المعبود في مجتمع ما، ولم يأخذ معنى (نفي الوجود الإلهي) كما يفهم من لفظة (إلحاد) في العصر الحاضر([4]).

١- نفي اللاهوت: ميشيل أونفري، ترجمة / مبارك العروسي، ط منشورات الجمل (بغداد) أولى ٢٠١٢م ، ص ٢٢

٢- جورج بطاي : فيلسوف فرنسي انصب عمله على (الأيروسية) وله كتابات فلسفية ثائر ةعلى الدين والمجتمع ولد عام (١٨٩٧م) وتوفي عام (١٩٦٢م)، من أهم أعماله / قصائد القدسي وأعمال أخرى – نظرية الدين رؤية فلسفية – الأيروسية – الأدب والشر – حكاية العين وغيرها ينظر ترجمته كتاب / الجنون المتنقل بين الفلسفة والقداسة – دراسا عربية : مارلين كنعان وزنلاؤها ، نسخة اليكترونية .

٣- ميشيل أونفري : فيلسوف وكاتب فرنسي غزير الإنتاج له حوالي ١١٥ كتابا، توفر على إنشاء جامعة (كان الشعبية)، له لقاءات دورية في الإذاعة والتليفزيون الفرنسي، من كتبه المترجمة / نفي اللاهوت https://arwiqaportiques.com. /

٤- وهو محق في ذلك؛ فقد استعملت كلمة (إلحاد) قبل العصر الحالي على الكفر بالمفاهيم الشائعة في هذا المجتمع؛ فاستعملها اليونان للدلالة على الكفر بآلهة (الأولمب)، واستعملها المسيحيون للدلالة على الكفر بالإله المخلص الفادي، بينما استعملها المسلمون للدلالة على الكفر بالنبوة ينظر / من تاريخ الإلحاد في الإسلام : عبد الرحمن بدوي ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ثانية ١٩٨٠م، ص ٥

وقد وضع (أونفري) هدفا نهائيا (لعلم نفي اللاهوت) يقوم على إقامة ما أسماه (فيزياء خاصة بالميتافيزيقا) والتأسيس لنظرية حقيقية للعلاقات السببية الملازمة، و(أنطلوجيا ذات نزعة مادية) وستكون المرجعية لتحقيق هذه الغاية (العقل والمنفعة والسعادة الفردية والجماعية)، يقول (أونفري):" إن المذهب الإلحادي ما بعد الحديث يلغي المرجعية اللاهوتية؛ بل وكذلك العلمية، لكي يشيد نسقا أخلاقيا، فلا الإله؛ ولا العلم؛ ولا السماء المعقولة؛ ولا ترتيب المقولات الرياضية...، بل هي الفلسفة؛ والعقل؛ والمنفعة والبراغماتية النفعية؛ ومبدأ السعادة الفردية والجماعية، وكل ما إلى ذلك من دعوات للتحرك فوق أرضية لزوم الواقع الخالص بحثا عن مصلحة الناس بهم ومن أجلهم وليس بالله ولله .." ([1]).

وأوضح من هذه العبارة في تحديد الغاية النهائية (لعلم نفي اللاهوت) قول (عبد المنعم المحجوب)([2]) عن أنسنة الدين؛ بمعنى تحويله من الارتباط بالله والعوالم الغيبية إلى اعتباره حاجة مادية إنسانية لتحقيق إشباع بديل عن الإشباع الواقعي المادي، يقول:" تلك كانت مناقشة محددة الهدف تسعى إلى أنسنة الحاجة إلى الإيمان بالدين، كما حاجتنا إلى الشعر والرجاء وسرد الأساطير، وتتساءل عما إذا كان بالإمكان تخليص الإيمان من شبكة العنكبوت التي حشر فيها "

ويقول أيضا :" ليس الإله وهما لاهوتيا خالصا بقدر ما هو ضرورة مثل الرجاء والأمل والشعر والأساطير ..، نحتاج إلى الدين قدر حاجتنا إلى الخيال... الدين كالفن يحقق إشباعا بديلا .."([3]).

ويعبر عن هذه الغاية باسم (الإيمان الحر) ،" الإيمان الحر هو ذاك الذي يريد تحرير العلاقة البشرية بفكرة الله من سلطة الأديان التقليدية التي وقفت

---

[1]- ينظر/ نفي اللاهوت: ميشيل أونفري، مرجع سابق ، ص ٢١ : ٣٨ والنص من ص ٧٦

٢- عبد المنعم المحجوب : كاتب وباحث ليبي معاصر ولد عام ١٩٦٣م، من مؤلفاته نقطة عمياء – رحلة حنون – فتنة الوراق – التبو – المعجم السومري وغيرها .

٣- نقطة عمياء وراء جدل التأليه ونفي اللاهوت (تطبيقات فلسفية وملاحظات عمل): عبد المنعم المحجوب، ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠٢٣م، النص الأول ص ١ والثاني ص ٣٤

في شكل (الملة)، وإعادتها إلى العقل البشري بما هو كذلك، ولذلك هو إيمان ليس له من معنى خارج أفق الإنسانية "([1])

فعلم نفي اللاهوت يروم عدة غايات:

الغاية الأولى : تفكيك الديانات التوحيدية على وجه العموم والتركيز على واحدة بعينها بعد ذلك؛ وقد طبق (ميشيل أونفري وغيره) آليات نفي اللاهوت على المسيحية ، بينما طبق(محمد أركون وعبد المنعم المحجوب وغيرهما من الحداثيين العرب والمسلمين على اختلاف مشاربهم) هذه الآليات على الإسلام كما سنرى خلال البحث – إن شاء الله - .

الغاية الثانية : تفكيك نظام الحكم بالحق الإلهي .

الغاية الثالثة : إعادة بناء جانب أخلاقي ما بعد مسيحي في أوروبا، وما بعد إسلامي في الشرق الإسلامي .([2])

الغاية الرابعة : اقتراح صيغة من الإيمان الحر؛ إيمان متجرد من كل سلطة دينية، ومن المفاهيم الأخروية، إيمان عقلي مؤنسن، لا يعتمد على طقوس ولا مؤسسات تدعوا إليه ([3])

وقد جعل (أونفري) (علم نفي اللاهوت) علما أصليا توظف له علوم أدوات – بالاصطلاح الإسلامي – واقترح عدة علوم تكون بمثابة روافد (لعلم نفي اللاهوت) وهي :

وقد اقترح الملاحدة عدة علوم لتكون مصدر استمداد (علم نفي اللاهوت) منها :

١-علم النفس والتحليل النفسي : ويفيدهم في تصور أواليات وظيفة نسج روايات الخيال.

٢-علم الميتافيزيقا : ويفيدهم في (مطاردة جينالوجيا التعالي والسمو والجلال).

٣-علم الحفريات : لجعل تربة جغرافيات الأديان وما تحتها تفصح عن دواخلها .

١- الإيمان الحر أو ما بعد الملة – مباحث في فلسفة الدين : فتحي المسكيني ، ط مؤمنون بلا حدود (الرباط – المغرب)، أولى ٢٠١٨م، ٩

٢- ينظر/ نفي اللاهوت: ميشيل أونفري، مرجع سابق ، ص ٧٧ : ٨٠

٣- ينظر / الإيمان الحر أو ما بعد الملة – مباحث في فلسفة الدين : فتحي المسكيني ،مرجع سابق ، ص١٠ - ١١ – ١٢

٤- علم الكتابات القديمة : من أجل إرساء نص الأرشيف.
٥- علم المقارنات: استنتاج استمرار الصيغ الذهنية النشيطة في أزمنة متمايزة وأمكنة متباعدة.
٦- علم الأساطير: للبحث عن تفاصيل العقلانية الشعرية .
٧- علم تأويل النصوص واللسانيات واللغات: لتأمل اللهجة المحلية .
٨- علم الجمال: لتتبع انتشار الديانات عبر الرسوم والأيقونات .
٩- الفلسفة : لتشرف وتنظم هذا الجهد .(١)

ولاشك أن هذه الأدوات بعينها يمكن أن تكون روافد للدفاع عن الدين وإثبات صلاحيته بل وعدم إمكان العيش على الأرض بدونه، فتوظيف الملاحدة للعلوم والمعارف المختلفة لا يعني بالضرورة أن هذه العلوم تؤكد الإلحاد.

١- ينظر/ نفي اللاهوت: ميشيل أونفري، مرجع سابق ، ص ٢٢ - ٢٣

المسألة الثانية

أنواع الإلحاد وصلتها بعلم نفي اللاهوت

هناك صلة وثيقة بين الإلحاد و(علم نفي اللاهوت)، فالأخير صيغة أكثر حداثة للأول، وهو محاولة فلسفية لمزج مبررات الملحدين وأصنافهم في مجموعة مترابطة وبنية شبه علمية، بيد أنه يركز على الموقف الأكثر إيجابية وحدة في رفض الدين([1])، ومحاولة الثورة عليه، بمختلف الوسائل، وسوف يظهر واقعية هذا الحكم إذا ما قارنا الهدف النهائي لعلم نفي اللاهوت(تحرير الإنسان من كل ما يربطه بمفهوم الألوهية)، وبين أنواع وأصناف الملاحدة تبعا لمبرراتهم التي يقدمونها لتبرير إلحادهم.

فإن الإلحاد موقف غير طبيعي؛ فالإنسان بفطرته يؤمن بوجود الإله الخالق – سبحانه وتعالى، ولكن عوامل البيئة والوراثة قد تبعد الإنسان عن أصل فطرته وخلقته للكفر أو الإلحاد، ولذلك كان لازما للملحد أن يبحث عما يبرر به هذا الموقف غير الفطري([2])، ويمكن أن نسوق جل مبرراتهم فيما يلي :

١- فتارة يبرره بالنظريات العلمية التي قلصت مساحة الغيب ووسعت من فاعلية الإنسان في السيطرة والاكتشاف على مظاهر الطبيعة.

٢- وتارة يستند إلى أن الأديان نشأت نشأة طبيعية بعيدا عن الوحي الإلهي؛ اعتماد على النظريات (الأنثروبولوجية) التي تدعي وجود تشابهات كبيرة بين ما يعتقده البدائيون والأمم القديمة والأديان العالمية المعروفة في عالمنا المعاصر.

٣- وتارة يبرر الملحد إلحاده بغياب العناية الإلهية به بسبب حالته الاجتماعية المزرية، وتارة يبرر الملحد إلحاده بسبب نفوره النفسي من المتدينين أو القائمين على أمور الديانات من علماءها ورجال الدين من أهلها، أو تعرضه لحالة فقدان الثقة في الجميع حتى الإله.

١- حيث يقسم الإلحاد من حيث البت بموقف معين من الألوهية إلى (إلحاد إيجابي) وهو الذي يجزم بعدم وجود الله، و(الإلحاد السلبي) وهو الملحد غير الجازم في المسألة أو أن رفضه أقل حدة من الإيجابي، و(اللاأدري) وهو الذي لم يجزم برأي في المسألة . ينظر / الإله المجهول عن اللاأدرية : أنتوني كيني ، ترجمة / منال محمد خليف ، ط دار أبكالوا (بغداد) أولى ٢٠٢٣م، ٣٠ – ٣١

٢- ينظر / الإلحاد الوهم المستحيل : نور الدين قوطيط ، ط مؤسسة السبيل، أولى ٢٠٢٠م ، ٢٥

٤- وتارة يبرر الملحد إلحاده بمخالفة الأديان للمطالب الطبيعية للإنسان(الشهوات) فيتحرر من الدين حتى يحصل على ما يريد، وتارة لا يرى الملحد للدين مكانا في حياته فهو لن يحتاج إلى الدين ليكون صالحا، أو لا يرى دينا بعينه وحيدا جديرا بالثقة بل كل الأيان عنده تحمل نفس المعنى ولها نفس المكانة (١)

هذه المبررات سنجدها ممزوجة ومصوغة في قالب جدلي ذي صبغة فلسفية في (علم نفي اللاهوت)، وهو ما عرفه الملحدون المعاصرون باسم (الإلحاد الإيجابي القوي)(٢)

هذه المسحة الفلسفية هي ما ستزيل الحرج عن المفكرين العرب من الحداثيين والتقدميين لمحاولة دراسة وتفهيم الإسلام للجماهير وفق الخطة التي خطها فلاسفة الغرب الملاحدة في العصر الحديث، فمع تطبيقهم خطة عمل (علم نفي اللاهوت) إلا أنهم بفضل هذه المسحة الفلسفية نجوا من تصنيفهم كملاحدة، وهو ما يزيد خطرهم على المجتمع المسلم .

١- ينظر / عشرة أنواع للإلحاد – دوافع الملحدين والمتشككين : أليكس ماكفريلاند، ترجمة / القس / جورج عزت ، ط دار الثقافة (القاهرة)أولى ٢٠١٤م، ٦٣: ١٥٨

٢- ينظر/ الإلحاد تعليل فلسفي : مايكل مارتن، ترجمة / لؤي عشري ، نسخة اليكترونية ، ص ٥٦

المبحث الأول

معايير العلم وتطبيقها على (علم نفي اللاهوت)

نبادر إلى طرح الإشكالية بشكل واضح بالسؤال التالي : هل من الممكن أن يتحول نفي اللاهوت(الإلحاد) لعلم له قواعده وأصوله وأساليبه ووسائله ؟، أم أنه سيظل جهدا مشتتا يمثل صدى النفي لتعاليم الأديان تبع لها في مسائلها وتصوراتها وقضاياها ؟، وسنجيب عن هذه الأسئلة باستعراض معايير اعتبار شيئا ما علما في الفكر الإسلامي والغربي، وتطبيق هذه المعايير على (علم نفي اللاهوت) فيما يلي :

المطلب الأول

معايير العلم في الفكر الإسلامي والغربي

العلم ومعاييره في الفكر الإسلامي :

يقوم العلم في الفكر الإسلامي على التكامل بين الكتابين الإلهيين؛ الكتاب المسطور (القرآن الكريم)، والكتاب المنظور (الكون) ([1])

وقد انعكست هذه السمة العامة على معايير العلمية في الفكر الإسلامي؛ فانقسمت العلوم – حسب الإمام الغزالي – إلى:

١- شرعية : تستفاد من الأنبياء، وهي خير كلها، وينطبق عليها صفة العلمية بلا شك .

٢- عقلية : وتقوم على العقل مثل (علم الحساب وغيره)وينطبق عليها صفة العلمية إذا كان نافعا للناس وكان خلوا من التكلف.

٣- تجريبية : وتقوم على التجربة مثل (علم الطب)، وينطبق عليها صفة العلمية إذا كانت نافعة للناس، فمتى كانت ضارة فليست بعلم .

٤ - سماعية (تاريخية) : وتقوم على الرواية والسماع عن الثقات مثل (علم اللغة).

وقد وضع (الغزالي) ضابطا لما يصح الحكم عليه بأنه من العلم وحصره في (منفعة الناس وحاجتهم إليه، وعدم مخالفته للشرع الشريف)، فحكم بعلمية الطب وأصول الصناعات، وحكم بأن الطبيعيات المخالفة لما

---

[1]- ينظر / توطين المنهجية العلمية – مقاربات فلسفية تاريخية ومستقبلية : يمنى طريف الخولي ، ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠٢٤ ، ٣٩ – ٤٠ – ٤١

جاء في الشرع ليست بعلم ،" الطبيعيات؛ وبعضها مخالف للشرع والدين الحق، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم .."([1])

وقد ارتبط العلم في الإسلام باليقين المطابق للواقع؛ فما دخله الشك لا يسمى علما، بعكس تصور الفلاسفة فيكفي عندهم حصول صورة الشيء في الذهن حتى يسمى هذا التصور علما، "العلم :هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء :هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني "، ووفق هذا التصور قسم العلم إلى(بديهي)، و(ضروري)، و(استدلالي).(٢)

وإذا أطلق (العلم) على أحد فروع المعرفة؛ فلابد أن يكون لهذا العلم (مسائل – فروع – مبادئ تصديقية وأخرى تصورية – ملكة استحضار مسائل العلم)([3])

وبالتالي فلا يعد علما مالم يكن نافعا للبشرية، ولم يكن يقينيا، وتعارض مع القرآن والسنة .

العلم ومعاييره في الفكر الغربي :

مفهوم العلم وشروط اعتباره علما في البيئة الغربية متغير حسب الثقافة السائدة؛ ففي زمن سيطرة الكنيسة كان معيار العلمية موافقة الكتاب المقدس والوصول إلى الإله، ومع بروز تيارات الفكر المادي في البيئة العلمية الغربية، نشأت معايير أخرى للعلمية؛ منها (البراجماتي) الذي يهتم بما ينفع الإنسان من العلم؛ فالنافع يعتبره علما وملا نفع للإنسان منه فليس علما، ومنها (الوضعي المنطقي) الذي يهتم بالتجريبية؛ ووضع عديد المعايير في اعتبار العلمية تصب كلها في تدعيم اعتبار (التجريب والملاحظة) هي معيار العلمية، وقد جمع (لالاند) المعاني المستخدمة لمصطلح (علم) في الثقافة الغربية فيما يلي :

١- المعرفة الإلهية، ومعرفة كل ما هو أزلي واجب الوجود .

١- ينظر / إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط دار المنهاج (جدة) أولى ٢٠١١م ، ج١ ص ٦٢: ٨٥ والنص ٨٥

٢- ينظر / التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، تحقيق/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط دار الكتب العلمية (بيروت)أولى ١٩٨٣م، ص ١٥٥ : ١٥٦ والنص من ١٥٥

٣- ينظر/ أبجد العلوم : صديق حسن القنوجي ، ط منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق) ١٩٧٨م، ج١ ص ٤٣

٢- ما يوجه السلوك الإنساني .
٣- مهارة تقنية .
٤ - مجموعة معارف وأبحاث على درجة كافية من الوحدة والعمومية، ومن شأنها أن تقود البشر الذين يتكرسون لها إلى استنتاجات متناسقة، لا تنجم عن مواضعات فردية ارتجالية ولا عن أذواق أو اهتمامات فردية تكون مشتركة بينها، بل تنجم عن علاقات موضوعية نكتشفها بالتدرج ونؤكدها بمناهج تحقق محددة.
٥- كل مجموعة معارف منظمة بحسب المبادئ (وحكم على هذا التعريف بأنه هو المأثور اليوم)
٦- منظومة ملاحظات تسمح بتصنيف الظواهر وتوقعها .([1])

ومعلوم أن (المنهج التجريبي) يعتبر روح الحضارة الغربية المعاصرة، فمعاير العلمية في هذه البيئات يخضع للمعايير التجريبية التي تعتبر العلم عبارة عن (نسق كلي)، وليس مجرد مسائل فرعية متناثرة، بمعنى أنه " يرتكز في ممارساته على على أصوليات ومحكمات وقياسات منهجية صارمة ترتد في صورة خصائص منطقية دقيقة، تحدد لظاهرة العلم تخوما تخصصية واضحة .."، ووظيفة العلم لا تقتصر على إنتاج معارف أو قضايا فحسب، بل الأهم أنه يعيد الإنتاج، بمعنى أنه يمكن دائما تصويب الفكرة العلمية وتطويرها؛ بمعى القابلية المستمرة للتقدم لإنتاج معرفة أفضل ... ، ووظيفة العلم المعرفية هي (الوصف والتفسير والتنبؤ والسيطرة)([2])

وقد وجدت مجموعة من المعايير لاعتبار شيئا ما علما في البيئة الغربية نوجز أهمها – من وجهة نظري – فيما يلي :

١- معيار التحقق : وقد نادت به المدرسة (الوضعية المنطقية): حيث ارتبطت العلمية بالتحقق في شكل قضايا يمكن التحقق منها بالحواس والتجريب، وما سوى ذلك وخاصة (الميتافيزيقا) فهي لغو وإنشاء لا يمكن أن يوصف بالعلمية، وقد تعرض هذا المعيار للنقد الشديد خاصة وأنه يهدم

---

[1] - ينظر/ موسوعة لالاند الفلسفية ، أنندريه لالاند، ترجمة / خليل أحمد خليل – إشراف / أحمد عويدات، ط منشورات عويدات (بيروت – باريس) ١٢٤٩ : ١٢٥٥

[2]- مفهوم المنهج العلمي : يمنى طريف الخولي، ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠٢٠م، ٣٦ : ٣٩ والنص من ص٣٦

القضايا العلمية الت يتقوم في أساسها على (الافتراض) قبل التجريب، وهو مالا يمكن التحقق منه من خلال الحواس أو التجريب .

٢- معيار القابلية للتأييد : ويعني أن القضية تكون علما إذا أمكن تأييدها واشتقاق قضايا صادقة منها.

٣- القابلية للاختبار : ويعني أن القضية تكون علما إذا أمكن الاحتفاظ بخطة إجرائية يمكن من خلالها التحقق من تأييد أي نوع من الأدلة التجريبية لها .

٤- الأنا وحدية المنهجية : وتعنى أنه لا يوصف بالعلم إلا ما يقع في دائرة الخبرة الشخصية للإنسان .

٥- القابلية للتكذيب: بمعنى أن العلم هو ما يعطينا مضمونا إخباريا ومحتوى معرفيا وقوة شارحة عن العالم التجربي الواحد والوحيد، فتعتمد الخاصية التجريبية على إمكانية إثبات كذبها بواسطة أدلة تجريبية من وقائع الحس الملاحظة أي الإمكانية التجريبية وليس فقط الإمكانية المنطقية، بمعنى أبسط إن معيار القابلية للتكذيب يفترض وجود نسق من الملاحظات الحسية يمكن أن يبنى عليه سجال علمي قائم على الملاحظات الحسية وخطوات التجريب حول ظاهرة ما، ومالم تكن الظاهرة تتسبب في هذا السجال فلا توصف بأنها علم .([1])

وبالإضافة إلى هذه المعايير التجريبية البحتة؛ هناك اعتبارات تالية منها:

١- السلامة من التناقض الذاتي، وقدر من التسليم بها من قبل المجتمع العلمي، " كل معرفة يمكن الاشتباه بها لا يجوز أن يطلق عليها اسم علم"([2])

٢- إ ن من شرط العلم أن يتضمن درجة كافية من الوحدة والتعميم، وأن يكون بحيث يستطيع الناس أن يتفقوا في الحكم على مسائله، لا بالاستناد إلى أذواقهم ومصالحهم الفردية، بل بالاستناد إلى ما بين هذه المسائل من علاقات موضوعية يكشفون عنها بالتدريج، ويحققونها ويثبتونها بطرق مختلفة ([3])

---

[1]- ينظر/ فلسفة كارل بوبر منهج العلم – منطق العلم : يمنى طريف الخولي ،ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠٢٠م، ٢٢٨ : ٣٢٠

[2]- موسوعة لالاند الفلسفية ، أندريه لالاند، مرجع سابق، من ص ١٢٥٢

[3]- المعجم الفلسفي : جميل صليبا ، ط دار الكتاب اللبناني (بيروت) ١٩٨٢م،ج٢ ص ٩٩

٣- لابد أن تكون معرفة إيجابية، تترابط مكوناتها في وحدة واحدة، يعتمد على التدرج في البحث فلا دعاوى ولا نتائج مبالغ فيها، " فالعلم ليس فلسفة ولا دينا ولافنا؛ إنه محصلة المعرفة الإيجابية اليقينية متشابكة خيوطها جهد التشباك، وهو كذلك مختلف عن تطبيقاته العملية من جهة، كما هو بعيد عن التفكير النظري الخامل، والعقيدة العمياء من جهة أخرى، إنه يحضنا ألا نقفز به إلى الدعاوى المسومة بالإسراف، وأن نكون متواضعين جهد ما نستطيع .."([1])

[1]- تاريخ العلم والإنسية الجديدة : جورج سارتون، ترجمة وتقديم/ إسماعيل مظهر، ط مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (القاهرة- نيويورك) ١٩٦١م، ٢٠٧ – ٢٠٨

المطلب الثاني

تطبيق معايير العلم على (علم نفي اللاهوت)

تطبيق معايير العلمية في الفكر الإسلامي على (نفي اللاهوت) :

المعيار الأول : حاجة الناس والنفع العام به :

الناس ليسوا بحاجة لنفي اللاهوت؛ فالإلحاد مرض له أسباب وأعراض، ليس وضعا طبيعيا، ولا ينتفع الناس حقيقة به، قد يتحرر الإنسان من الأوامر والنواهي، ويحصل على حرية العبث، ولكن لن يحقق نفعا حقيقيا يكمل إنسانيته ويرتقي بضميره.

بل العكس هو الصحيح الناس في حاجة للدين دائما، إذ يرضي نهمتهم الروحية، وحاجاتهم العاطفية، وشوقهم لمصدرهم وخالقهم، فالفرد والجماعة في حاجة ماسة للدين في حفظ كيانهم واستمرار بقاءهم ([1])، ولا تقوم الروحانيات الملحدة بهذه المهمة، بل تؤدي لمزيد من الحيرة والتخبط والضياع الإنساني .

المعيار الثاني : عدم التعارض مع الكتاب والسنة :

ولاشك أن (علم نفي اللاهوت) يعارض في أسسه ومسماه وغاياته أسس القرآن والسنة؛ فقد جاء الإسلام بمصدريه لتأكيد وحدانية الله – تعالى – وإثبات ألوهيته وخالقيته وقيومته على خلقه.

المعيار الثالث : المطابقة للواقع :

(علم نفي اللاهوت) يناقض الواقع تماما، فالإيمان بالإله الخالق مشترك إنساني عام لم تخل أمة من الأمم منه، فضلا عن أنه يقوم في أجزاء كثيرة منه على فكرة (المساواة بين الأديان) - كما سنرى أثناء البحث - وهي فكرة مخالفة للواقع تماما؛ فالأديان ليست متساوية ففيها الصحيح المتوافق مع العقل (الإسلام)، وفيها المناقض للعقل والفطرة والتاريخ كغيره من الأديان.

المعيار الرابع : اليقين وعدم الشك:

(علم نفي اللاهوت) يقوم على مجموعة من الشبهات ومناقضة

---

[1]- ينظر/ الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية : محمود حب الله ، ط دار إحياء الكتب العربية (القاهرة) ١٩٤٨م، ص ١٨٨ وما بعدها - وص ٢٢٠ وما بعدها .
وينظر كذلك / العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان : محمود حمدي زقزوق ، هدية مجلة الأزهر شهر رجب عام ١٤١٥هـ .

المفاهيم الدينية؛ فليست له مفاهيمه الخاصة به، فالشك هو فضيلته المزعومة، وبالتالي يناقض معيارية اليقين الإسلامية.

المعيار الخامس : وجود مسائل ومبادئ تصورية وتصديقة :

وهذا ليس له وجود في (علم نفي اللاهوت)؛ إذ سبق في تعريفه أنه سعي لمناقضة الفكر الديني؛ وبالتالي فهو تبع للفكر الديني في مسائله وقضاياه.

مما سبق يتضح أنه لا يصح إطلاق لفظ (علم) على (نفي اللاهوت) طبقا لمعايير العلمية الإسلامية، بل قصارى ما يمكن وسم (نفي اللاهوت) به (شبهات – آراء – تخييلات – أوهام) وغير ذلك من المصطلحات التي تتطابق مع مكوناته وأدواته وغاياته .

تطبيق معايير العلمية في الفكر الغربي على (علم نفي اللاهوت) :

(علم نفي اللاهوت) لا يخضع لقواعد التجريب ولا الملاحظة، وبالتالي فلا يمكن تطبيق معايير العلمية عليه من (معيار التحقق – ولاالقابلية للتأييد – ولا القابلية للاختبار – ولا حتى الأنا الحدية – ولا القابلية للتكذيب).

وعلى المستوى النظري اشتمل (علم نفي اللاهوت) على أشياء تسلب عنه صفة العلمية فمثلا :

١- (علم نفي اللاهوت) مجرد شبهات يمكن تفنيدها والرد عليها ومناقضتها، فهو ليس نسق فكري منتج للمعارف فضلا عن إعادة إنتاجها وتحسينها، فهو (عدمي بحت).

٢-احتوى (علم نفي اللاهوت) على مجموعة من التناقضات؛ فقد جعل الفلسفة هي المرجعية التي ستقود مسار البشرية؛ ومعلوم أن الفلسفة مجرد آراء قابلة للنقض والنقد، فكيف ستكون مرجعية تنبثق عنها منظمات فكرية وخلقية تقود البشريةن ولذلك لم نسمع اعترافا من المجتمع العلمي (بعلم نفي اللاهوت).

٣- قضايا (علم نفي اللاهوت) تخضع للذوق الفردي؛ فالمؤمن مثلا يرفضها والملحد يقبلها؛ وبالتالي فهي خاضعة للذوق الفردي والمصلحة الشخصية، وما كان كذلك فلا يجوز تسميته (بالعلم) بل قصارى ما يمكن تسميته به (وجهات نظر).

٤- احتوى (علم نفي اللاهوت) على مجازفات ومبالغات وتعميمات، ومصادرة على المطلوب، والتحيز المعرفي والبحثي ما سلب عنه صفة العلمية .

الخلاصة :

أنه لا يجوز وفقا لمعايير العلمية في الفكر الإسلامي والغربي إطلاق (علم) على (نفي اللاهوت) فهو أمرعدمي قائم على الشكوك والشبهات والتوهمات والتعميمات بدون دليل والمجازفات الفارغة .

المبحث الثاني

أدوات علم نفي اللاهوت ووسائله ومدى صلاحيتها

مع ثبوت عدم علمية (نفي اللاهوت)، ولكننا من باب مجاراة الخصوم سنستعمل إطلاق (علم نفي اللاهوت)، لنقف معهم على أرضية مشتركة فقط ، ونستبين فساد أدوات هذا العلم المزعوم كما سلبنا عنه صفة العلمية.

المطلب الأول

الاستمداد من الفلسفات الغربية المادية

تعتبر الفلسفات الغربية المادية على اختلاف مدارسها وأفكارها مرجعية (لعلم نفي اللاهوت)، فقد سمحت هذه الفلسفات بتحويل أسلحة العقل لمهاجمة الدين والوجود الإلهي؛ فبدلا من كون العقل أداة توصل الإنسان بخالقه، صار أداة قطع وتضليل للإنسان، وصار نتاج هذه الفلسفات مادة لنفي اللاهوت ([١])

فلا يكاد الباحث يتصفح كتابا يتناول (نفي اللاهوت – الإلحاد) إلا ويرى طعون الفلاسفة الماديين فقد استعان الملاحدة في صياغتهم للإلحاد المعاصر بأفكار هؤلاء الفلاسفة مع محاولة توظيف نتاج العلوم التجريبية([٢]).

حتى يمكن أن نصدر حكما بأن موجة الإلحاد المعاصرة هي ثمرة مرة لهذه الجهود الفلسفية الهدامة ([٣]).

١- ينظر/ نفي اللاهوت : ميشيل أونفري، مرجع سابق ، ص ٢١

٢- ينظر/ المادية ودورها في البناء المعرفي لنظريات الإلحاد المعاصر – عرض ونقد (رسالة دكتوراة) : عبد الفتاح فتحي حمودة، إشراف/ أ د جابر زايد عيد السميري ، قسم العقيدة الإسلامية – كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة ، أغسطس ٢٠٢١م، ص ١

٣- التاريخ الفلسفي للإلحاد الغربي الحديث : وليد فيالة ، ط مؤمنون بلا حدود ، (الدار البيضاء – المغرب)، ٢٠٢٤م، ص ٢١

بل إن الإلحاد المعاصر تطور بتطور هذه الفلسفات حتى وصل إلى الرفض النهائي لفكرة الإله، وكل بديل علماني لها ([1])

وقد اعتبرت الفلسفة المادية في البيئات العربية والإسلامية مدخلا لا غنى عنه لنشر الإلحاد، وأنسنة الإله، ومحاربة تساميه، " في العالم الناطق بالعربية عموما الذي يدين بالإسلام عموما يبدو أن الإنسان قد أضحى بعيدا لأمور لسنا في وارد مناقشتها في هذه العجالة عن الإنسانية بمعناها الحقيقي الأعمق، وربما يلعب (فويورباخ) إذا ما توسع تواصله المعرفي مع المتلقي العربي الإسلامي أن يساهم إلى حد ما في تخفيف فظاظة الألوهية، إلى أنسنة الإله، إلى محايثته بعد زمن طويل من التسامي، إلى الالتقاء بمقاربة للدين ومخرجاته لا علاقة لها بما اعتدنا عليه من مقاربات .."([2])

فهدم الفكر الديني يقوم على أساس نتاج هؤلاء الفلاسفة الماديين ،" أما حين أتحدث عن هدم الفكر الديني ببناءاته القصصية التاريخية للإيمان، فإنني أعني بالفعل إعادة إعمال حركة فلاسفة عصر التنوير في القرن الثامن عشر، بهدف فتح آفاق جديدة للمعني وقابلية الفهم والمعرفة مع مراعاة ضرورة الإفهام، وتوجيه الحركة التاريخية الثورية ([3])

مما سبق يتضح مركزية الفكر الفلسفي المادي الغربي في البناء الفكري والعملي (لعلم نفي اللاهوت).

١- مثل (الروح المطلقة لهيجل وغيرها)، ينظر / الإلحاد والاغتراب – بحث في المصادر الفلسفية للإلحاد المعاصر : باترك ماسترسن ، ترجمة / هبة ناصر، ط المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية (بيروت) أولى ٢٠١٧م، ص ١١

٢- جوهر الدين : لودفيغ فويرباخ ، ترجمة وتعليق / نبيل فياض، دار الرافدين (بيروت)، أولى ٢٠٢١م، ١٢

[3] - الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي : محمد أركون ، ترجمة / محمود عزب ، ط دار الطليعة (بيروت)، أولى ٢٠١٠م، ص ١٦٨

المطلب الثاني
إبراز مظلومية الفكر الحر (الإلحادي)

يدعى المناصرون (لنفي اللاهوت) أن جميع العالم متكتل تحت مظلة النزعة الإلهية ويحارب الإلحاد بقوة، مع احقار شديد للنزعة المادية، تعتبر هذه الكلمة – الملحد – شتيمة قصوى؛ فالملحد منكر الإله هو ذلك العديم الأخلاق ومنكرها، وتلك الشخصية النجسة التي بمجرد صدور هذا النعت بحقها يصير من الذنب أن يرغب المرء بمعرفة أكثر عنها أو بدراسة كتبها، كانت الكلمة كافية للحيلولة دون الوصول إلى الكتب المؤلفة؛ إنها كلمة تشتغل مثل دواليب حرب ترمي كل من لا يتحرك ضمن سلم وسجل تقاليد كاثوليكية رسولية ورومانية خالصة، فمنكر الإله ولملحد والزنديق هو بالنهاية كل واحد، وهو ما ينتهي بتكوين جمهور كبير .. ([1])

ويمكن تلخيص هذه المظلومية – من وجهة نظرهم - في عدة عناصر هي:

١- الملحد كائن غير أخلاقي لا يرى للأخلاق وزنا.
٢- لا يؤمن إلا بمصلحته ومنفعته الذاتية.
٣- انعدام الموازين واختلال الرؤية.
٤- انعدام الدافع للفضيلة والإحسان للآخرين
٥- ويتوقع منه الخيانة دائما؛ فيضي المواطن بوطنه، والولد بوالده لأجل منفعته الشخصية
٦- لا يتورع عن انتهاك حقوق الآخرين خاصة إذا أمن العقوبة)([2])

والحقيقة أنه مع التعامل مع الملحدين على المستوى الشخصي من الممكن أن تلمس كل هذه الصفات أو أكثرها، فليس في الأمر تجن، ومن المعلوم أن التعميم خطأ، ولكن معلوم أيضا أن الحكم أغلبي .

ثم إنه من الطبيعي أن تحافظ المجتمعات على بيئتها الدينية والمجتمعية في مقابلة عبث الملحدين، فليس في مواجهتهم تجن عليهم، ولا حتى تشهير بهم .

١- ينظر/ نفي اللاهوت: ميشيل أونفري ، مرجع سابق، ١٩ والنص ص ٣٩
٢- نظام الطبيعة – قوانين العالم الأخلاقية والمادية : بارون دي هولباخ، ترجمة وتقديم / منال محمد خليف، ط دار ابكالو (بغداد) أولى ٢٠١٤م، ج ٢ ص ٢٢١ وينظركذلك / تحقيق ما للإلحاد من مقولة : محمد المزوغي ، ط منشورات الجمل (بغداد – بيروت)أولى ٢٠١٤م، ص ١٥ وما بعدها

المطلب الثالث

التسوية بين الأديان عموما والإبراهيمية خصوصا

يقوم (علم نفي اللاهوت) على افتراض وحدة الأديان الإبراهيمية الثلاث في بناها الفكرية (بمعنى أن اليهودية والمسيحية والإسلام تقوم على فكرة واحدة هي التأليه والنبوة والمعاد وغيرها من الأفكار الأساسية المشتركة)، بل وتتعدى هذه الوحدة إلى جميع الأديان المعروفة في بعض الجوانب، " فلسفيا لا ترى غير تقليد (توحيدي أو إبراهيمي واحد يمتد على فترات متطاولة لا فرق بين عصر قديم متقدم أو عصر متأخر، وهذه السردية التوحيدية بعناصرها النمطية المتكررة في الكتب المسماة سماوية أسست لنوع من الجماعة الأخلاقية المتميزة هي الجماعة (الإبراهيمية) التي أصبح الإنتماء إليها معركة تأويلية مرعبة بين العقول والعصور والشعوب "([1])

فالرموز والمضامين تبقى واحدة في كل الأديان؛ وما تعدد الأديان – حسب زعمهم – إلا تجليات قومية؛ حيث يلبس كل قوم الإله لبوسهم حتى يصنعوا لوجودهم معنى متعاليا وهدفا ساميا ([2])،" وهكذا فإن كل ديانات العالم ليست سوى خلط مستمر ومتواتر لممارسات تكشف لنا عن الأفكار المتبدلة التي كونها الناس عما يعبدون "([3])، وهذا ليس إلا انعكاسا للتيارات المشبهة والمجسمة التي أساءت للأديان، فالإله واحد متعال لا يشبه أحدا من البشر؛ فهو مخالف للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله، والإشتراك اللفظي بين وصف الخال قوالمخلوق إنما هو لأجل التفهيم فقط، ولا يلزم منه وحدة الحقيقة بين الخالق والمخلوق.

وأرجعوا اختلاف الديانات لاختلاف الظرف التاريخي الذي اقتضى – حسب اعتقادهم – تحويرا في المعتقدات والتشريعات لتوافق المزاج العام للمعتنقين،" وبطبيعة الحال فقد بدت اختلاف اللغات والأماكن والأزمنة،

١- الإيمان الحر أو ما بعد الملة : فتحي المسكيني ، مرجع سابق ، ٤٤٧

٢- ينظر / نقطة عمياء : عبد المنعم المحجوب ، مرجع سابق ، ص ١١- ١٢ - وكذلك / الحداثة كحاجة دينية : توفيق السيف ، ط ٣ بدون بيانات دار النشر ، ص ٢١ .

٣- العدوى المقدسة التاريخ الطبيعي للخرافات : بول هنري تيري – بارون دي هولباخ ، ترجمة / لوصيف رحومة، ط دار اباكو(بغداد) أولى ٢٠٢٤م، ١٤

اختلافات تشريعية وعقائدية بين الديانات الثلاث، لكن الجوهر الاعتقادي ظل واحدا، وظل النسج الأصلي يتم على المنوال ذاته.."([١])

لا فرق جوهري - عندهم - بين الوثنية والتوحيد؛ فكل يؤمن بمعنى الألوهة؛ فالتعددية تعبر عما يعبر عنه (الأنواع) للجنس (المنطقي) ([٢])

وقد ادعى المروجون لنفي اللاهوت دعوى جريئة باطلة؛ وهي أن الأديان الإبراهيمية الثلاث تعود في الأصل إلى أصول وثنية؛ فالإله الذي يعبدونه في الأصل هو إله وثني شرير ([٣])

وهذا وهم في عقولهم؛ ولا دليل عليها؛ فضلا عن أن الإسلام – ومعه اليهودية والمسيحية – يحارب الوثنية حربا شعواء، فكيف تتهم هذه الأديان بأن أصلها وثني ؟؟.

الخلاصة أن كل الدين بمختلف صوره يقف في مواجهة (نفي اللاهوت – الإلحاد) لافرق بين بين وآخر،" ليس في الأمر يهودية مسيحية غربية تقدمية ومتنورة وديمقراطية ضد إسلام شرقي ماضوي وظلامي؛ بل هناك ديانات الأمس التوحيدية ضد إلحادية الغد..."([٤])

ولاشك أن هذه الوحدة بمفهومها الإلحادي لا وجود لها، ففكرة (المقدس – المبجل) عالمية في الفكر الديني وغيره، وتبقى التمايزات الجوهرية بنين الأديان في بناها العقدية؛ ورؤيتها للكون والحياة؛ وغاية الإنسان من الحياة، وغير ذلك من مواضع التمايز الحادة التي تجعل المساواة التامة بين الأديان خلل في الرؤية والمنهج .

المشتركات الإبراهيمية (الدينية) المزعومة :

يعتقد المناصرون لفكرة (وحدة الأديان الإبراهيمية) أن (اليهودية

١- اللاهوت العربي وأصول العنف الديني : يوسف زيدان، ط دار الشروق (القاهرة) ثانية ٢٠١٠م، ٢٤

٢- محاضرات حول جوهر الدين : لودفيغ فويرباخ، ترجمة / نبيل فياض، ط الدار الليبرالية (برلين)، أولى ٢٠٢٢م، ص ٩٣ – ٩٤

٣- ينظر/ فيروس الدين – لماذا نؤمن بالله : كريخ جيمس ، ترجمة / إبراهيم قيس جركس ، ط الدار الليبرالية (برلين)، ٧ وما بعدها – وقد ادعوا أن أصل (الله) إله الأديان الإبراهيمية (إله القمر – إله الحرب) عند الساميين القدماء، وينظر / كيف وجدت الآلهة - ديانة التوحيد القمري: جون كيراتشر، ترجمة / إبراهيم قيس جركس ، ط الدار الليبرالية (برلين) ٢٠٢٠م ، ص ٦٦ وما بعدها

٤- نفي اللاهوت : ميشيل أونفري ،مرجع سابق، ص ٥٧

والمسيحية والإسلام) - وبقية الأديان تبعا لهم في معظم الأحيان – متحدة في نظرتها ومأسستها لفكرة الدين، وحصروا وجوه الاتحاد فيما يلي :

١- وحدة العقائد في أصولها :

(فكرة الإله الشخصي – فرضية التكوين أو خلق العالم – شخصية آدم (عليه السلام) – إنزال الكتب المقدسة – ظاهرة الوحي – الرسالة أو النبوة – الدينونة أو يوم الحساب – الآخرة بدلا عن المستقبل) ، ففضيلة الأديان الإبراهيمة في مجال الألوهية – حسب زعمهم – تظهر في تحرير مفهوم الألوهية من الممارسات السحرية في الأديان السابقة " ما فعل الأنبياء الإبراهيميون هو نقل الألوهية من نطاق (المقدس) الوثني (سحرة فرعون) إلى أفق الإله (القدوس) الذي يوجد على مستوى آخر أو غير بشري أو غير منظور من الكينونة"(١)

ولاشك أن الأديان الإبراهيمية وغيرها واحدة في أصولها (العقدية) فهي تقوم قبل تحريف كثير منها على الإيمان بالله – تعالى – ورسله واليوم الآخر والغيبيات، قال – تعالى - :" إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(١٩) "[سورة آل عمران ١٩]، وتختلفت الشرائع حسب حكمة الله في الاختبار والتيسير على الأمم، والوحدة بغير هذا المعنى المتقدم وهم لا وجود له؛ فالدين المحرف عن أصوله الإلهية لا يساوي أبدا ما بقي على أصوله الربانية .

٢- وحدة النظرة للحياة :

حيث يعقتد المدافعون عن نفي اللاهوت بأن الأديان التوحيدية – والأديان عموما – تقوم على رفض الحياة ومعاداة الحرية الإنسانية، وربط الإنسان دائما بالموت، وتحجيم مساحة المتعة المتاحة للإنسان، حتى تجعل حياته على الأرض جحيما لا يطاق – كذا –، فالأديان تحتفى بالعدمية، وتحركها غريزة الموت وكره الحياة، فتمقت الذكاء والحرية والجنس والمرأة، وتقنن السلوك الإنساني في إطار من التحريمات (افعل ولا تفعل)، ومع كثرة هذه الأوامروالنواهي تتقلص مساحة الحصول على الكمال، ويكبر في نفس الإنسان (الشعور بالذنب) الذي يرافق المتدينيين جميعا، وهو ما يستغله

١- ينظر/ الإيمان الحر أو ما بعد الملة : فتحي المسكيني ، مرجع سابق ، ٤٤٦ – ٤٤٧ والنص من ص ٢٥

كهان الأديان للسيطرة على الجماهير سيطرة تامة، فيبقى المؤمن أبدا في معية الله، فلا مكان للحرية الإنسانية ولا للتقييم الشخصي، فالمؤمن في سجن الأوامر والنواهي دائما، ولن يجني شيئا من وراء ذلك إلا في الجنة – كذا - (١)

يزعمون كذبا وزرا أن" الأديان سرقت كل ما يمكن أن يولد بهجة حقيقية غير ملوثة بدسم التسامح المنافق القائم على الريبة من الآخر لمجرد اختلافه، حتى وصلنا أقصد مشغلي العقول لا المغفلين إلى مرحلة مرعبة أقرب إلى (الفوبيا) فوبيا المحبة، وكأني أستحضر صدمة (الماغوط – يعني الكاتب محمد الماغوط) الإرهاب لم يترك لي فرصة لأحب أحدا ...حتى الله " (٢)– معاذ الله –

هذا الحكم قاس وعار عن الدليل؛ فكما هو معلوم أن انحراف الفهم والتطبيق للأديان هو السبب في هذا الخروج غير المبرر عن طبيعة الفطرة الإنسانية؛ والانحراف ليس حجة على الدين الصحيح؛ فالله – تعالى – قال في القرآن - :" قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ " [سورة الأعراف ٣٢].

والحق أن الأديان تختلف رؤيتها للحياة؛ فبينما يصدق التوصيف السابق على أديان (شرق آسيا) التي تحارب الجسد وتدعوا للزهادة وقتل الرغبة ووافقتها المسيحية في كثير من هذه التصورات، يبقى الإسلام بعيدا عن كل ذلك؛ ففلسفته تقوم على التمتع بما في الدنيا من طيبات دون إسراف، ودون غفلة عن حظ الإنسان من الآخرة، قال – تعالى - :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ " [سورة المائدة ٨٧ – ٨٨]، وقال – تعالى - :" وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"[سورة القصص ٧٧]، وقد اشتكى أحد الصحابة (حنظلة) – رضي الله عنه – للنبي – صلى الله

---

١ - ينظر / نفي اللاهوت: ميشيل أونفري، مرجع سابق، ص ٦٣ – ٨٧ – ٩٠ - ٩١ – ٩٢

٢- جذور الوهم - ملاحظات حول الديانات الإبراهيمية : سعد الياسري ، (موقع دروب) نسخة اليكترونية ، ص ٧

عليه وسلم – أنه ينتقل إلى حال دنيوي بحت (يعافث الزوجات ويضحك ويلعب ويباشر التجارة، وينسى الحالة الروحانية التي يكون عليها مع النبي -صلى الله عليه وسلم –)، وظن أن حاله هذا من باب النفاق، ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم – بين له ما يريده الإسلام (التوازن) فقال له (ساعة وساعة)، روى (مسلم في صحيحه) " أنه مر بأبي بكر وهو يبكي ، فقال : ما لك يا حنظلة ؟ قال : نافق حنظلة يا أبا بكر ، نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، فإذا رجعنا إلى الأزواج والضيعة نسينا كثيرا قال فوالله إنا لكذلك انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فانطلقنا فلما رآه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما لك يا حنظلة ؟ قال : نافق حنظلة يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين ، رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ونسينا كثيرا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم ، وعلى فرشكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ساعة وساعة. "([1])

مما سبق نتبين أن مساواة الإسلام بتلك الديانات المعادية للحياة ظلم بين للإسلام، وعدول عن الموضوعية إلى التحكم والتخبط، مما يطعن في صلاحية (المساواة بين الأديان) التي اعتمد عليها (علم نفي اللاهوت) كثيرا في طعنه على الأديان .

٣- كراهية النقد والفلسفة وادعاء احتكار الحقيقة :

حيث يعتقد هؤلاء النفاة للاهوت أن الأديان التوحيدية والأديان عموما تكره النقد، وتضيق ذرعا بالفكر الحر، وتجابه من يغرد خارج السرب، أو يثور على قواعد اللاهوت، أو يعمل عقله في فهم معاني الأديان ([2])

وتحتكر الحقيقية، وترى أن كتابها الخاص قد احتوى كل شيء، مع أن هذه الكتب صنعة بشرية لا تمت لله بصلة – حسب زعمه – بل هي اختراع اللاهوتيين بعد ذلك، ولا يجوز الخروج عن تفسيرات الكهنوتيين له، وإذا

١- رواه مسلم في صحيحه – كتاب التوبة - باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا – حديث رقم (٢٧٥٠).

٢- ينظر / نفي اللاهوت: ميشيل أونفري ، مرجع سابق ، ص ٧١ – ٧٢ وكذلك / ص ١٠٠ – ١٠١ .

حدث وأن خرج أحد عن هذه السلطة فإنه يجابه بالقطع من الجماعة في اليهودية، و بمحاكم التفتيش (المسيحية)، وبحد الردة في الإسلام ([1])

والإسلام خارج هذه الدائرة أيضا؛ فمع الإيمان المطلق بصدق القرآن وإلهيته بأدلة لا يرتقي إليها شك، إلا أن هذا الإيمان لم يعطل العقل عن العمل في دائرته (المادية)، ولم يحتكر العلماء فهم القرآن، ولم يرفضوا العلم ومكتشفاته اعتمادا على نص قرآني، بل كان الإسلام منفتحا على كل علم، غايته الوصول إلى إعمار الأرض وحرية الضمير والفكر .

وخير دليل على ذلك أن الإسلام أقام قواعده على الاقناع العقلي والإشباع العاطفي، فاهتم الإسلام بإيراد أدلة على عقائده؛ فمثلا دلل القرآن على وجود الخالق من خلال الدلالة لفت العقل إلى ضرورة التفكر والتدبر والإجابة عن أسئلة تنبه العقل لوجود ربه وخالقه، قال – تعالى - :" أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ " إلى أن قال – تعالى - :" أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ "(٤٣) [سورة الطور ٣٥ : ٤٣]، وتظهر مدى اهتمام الإسلام بالإقتناع العقلي من شرط كثير من علماء أهل السنة وغيرهم معرفة الدليل على العقائد ولو معرفة إجمالية؛ فإيمان المقلد غير العارف بالدليل – مع قدرته على هذه المعرفة – ناقص .([2])

١- ينظر / نفي اللاهوت: ميشيل أونفري ، مرجع سابق ،ص ٧١- ٧٢ وكذلك / ١٠٠ – ١٠١

٢- ينظر / حاشية ابن الأمير على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد : محمد بن محمد بن أحمد عبد القادر السنباوي الأزهري ، تحقيق/ أحمد فريد المزيدي ، ط دار الكتب العلمية (بيروت) أولى ٢٠٠١م، ص ٦٧ : ٧٤

المطلب الرابع
التشكيك في الشخصيات والمصادر الدينية

بناء على أصلهم المادي؛ شكك نفاة اللاهوت في المصادر والشخصيات الدينية، بحجة أنه لا يوجد آثار مادية تدل على وجودهم في التاريخ القديم، وأنه قد تم اختراع هذا التاريخ وإعادة صياغته مرات كثيرة بناء على الرغبة والحاجة الأيديولوجية التي صنعت هذا التاريخ المقدس بكل تفاصيله مع الحرص البادي للاحتفاظ بما يسميه أهل الأديان بالأصول ،" إن تاريخ الأديان الكبرى وتاريخ انطلاق الثقافات الكبرى يجد أمامه صعوبات مترتبة عن توغلها في القدم، أو عنتحريفات لاحقة عندما يتأسس التقليد، وي كون لهذه الديانات أصنار وهيكلة، وتتكون هالة قدسية المؤسس، فتنسب إليه أقوال ونصوص، مع هذا وجد أيضا حرص كبير في كل مكان على الاحتفاظ بالأصول وبلب الرسالة الجديدة المؤسسة لكل هيكلة مقبلة.."(١)

يزعم (نفاة اللاهوت) أن كثيرا من الأمم تنزع إلى إضفاء مزيد من القداسة على رموزها،" والأنبياء من أبرز هذه الشخصيات، كثيرا ما تطلى صورهم بصبغة لاهوتية وكهنوتية، فثمة نسق ديني يعمل على ذلك؛ نسق يمتلك آليات تخييلية وأسطرة تعيد تشكيل صورة النبي الواقعية، لتظهرها بمظهر تبجيلي وتمجيدي مقدس، فتتحول صورته من إطارها التاريخي إلى إطار ميتافيزيقي أو بالأحرى (كوسمولوجي) عابر للتاريخ .."(٢)

وبحكم أن (نفي اللاهوت) غربي النشأة؛ فقد تعرضت شخصية المسيح – عليه السلام – لنفي وجودها التاريخي بحجة أنه، " لا وجود لوثيقة معاصرة للحدث، ولا وجود لدليل حفري، ولا شيء مؤكد ما يمكن معه اليوم الاستنتاج حقيقة حضور فعلي ... فلا قبر ولا كفن ولا وثائق، ما عدا ضريح ابتدعته سنة (٣٢٥م) القديسة (إيلين) أم (الإمبراطور قسطنطين).."(٣)

١- تاريخية الدعوة المحمدية في مكة : هشام جعيط، ط دار الطليعة (بيروت) أولى ٢٠٠٧م، ص ١٩ – ٢٠

٢- صناعة التقديس في الإسلام - إشكالية النبي التاريخي والنبي اللاهوتي : باتريشيا كرون وآخرون ، ترجمة / عبد الستار الناشي ، ط بيت الحكمة السومري (بغداد) أولى ٢٠٢١م، ص ٥

٣- نفي اللاهوت : ميشيل أونفري ، مرجع سابق ، ص ١٣٥

ومع نفيهم للوجود التاريخي للأنبياء بحجة عدم وجود آثار مادية تدل على وجودهم، إلا أنهم يرون أن هذه الشخصيات يمكن عدها (فكرة خيالية مثالية) تؤدي وظيفة ما وتدور حولها المعتقدات الدينية، يقول (أونفري) مثلا عن شخصية المسيح – عليه السلام - :" إن عيسى يؤدي وظيفته كفكرة مثالية؛ تنتظم حولها رؤية للعالم وتصوره للواقع، ونظرية للماضي الممتلئ بالخطيئة، وللمستقبل الواعد بالخلاص، لندع هواة النقاش المستحيل استنتاج مسألة وجود المسيح، ولنرتبط بالمسائل المهمة: ماذا عن هذا البناء المسمى عيسى؟، وما الغرض منه؟، ومن خلق هذه الفكرة الخيالية؟ وما هي المادة التي تجسد هذا الخيال؟، وكيف تطورت هذه الخرافة ؟.."(١)

وقد كان للظرف التاريخي أثر كبير في اختراع الشخصيات الدينية – على حد زعم نفاة اللاهوت، فالمسيح مثلا كفكرة ظهرت رد فعل على القلق الذي سيطر على الناس في أواخر الزمن القديم، وقد ظهرت كثير من الشخصيات الأسطورية تشبه في سيرتها وأفعالها المسيح، ونادت بالخلاص والنهاية السعيدة للكون (الوعد الميسياني) كما فعل المسيح ومحاربة الرومان وتخليص اليهود،" كثيرة هي القصص التي تحكي كلها هذه الرغبة اليهودية بإرباك الحكم الروماني من خلال سلاح وحيد، هو الخطاب الديني الروحاني المبشر ببشارة احتواها العهد القديم .."، " إن اسم عيسى يبلور الطاقات المنتشرة والمتباينة المبددة في مواجهة الآلة الإمبراطورية لذلك العصر، وهو يقدم الاسم الرمزي الجامع لكل اليهود الذين يرفضون جيش الاحتلال الروماني "(٢)

وقد سحب أحد (العفيف الأخضر) هذه السماجة، وحاول تطبيقها على شخصية سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – يقول:" وهكذا فالرواية التي تقدمها السيرة، التي يلخصها هذان البيتان(٣) أفضل تلخيص، هي في مجملها (ميتاتاريخ) ؛ الميتاتاريخ تخضع التاريخ لحتمية لا تاريخية، أي

١- نفي اللاهوت : ميشيل أونفري ، مرجع سابق ، ص ١٣٦

٢- ينظر / نفي اللاهوت : ميشيل أونفري ، مرجع سابق ، ص ١٣٨ : والنص الأول من ص ١٣٩ والثاني من ص ١٤٠

٣- بيت البوصيري القائل :

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما بعدها سماء -----------

وبيت أحمد شوقي :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

للتدخل الرباني في التاريخ، هذا التدخل الإلهي الذي يرفع الأسلاف إلى مصاف الأبطال إلى أنصاف آلهة، منزهين عن الوقوع في الخطأ والخطيئة، وهذا ما فعلوه بمحمد – صلى الله عليه وسلم – من المهد إلى اللحد، بل منذ أن كان جنينا في رحم أمه، هذه الرواية ارتفعت به من شرط البشري إلى مقام المختارين، الذين رصدتهم الأقدار لتحمل رسالة النبوة، حتى قبل أن يعلن هو نفسه نبيا، فهي إذن أبعد ما تكون عن التاريخ، أي الوقائع التي وقعت فعلا أو يمكن منطقيا أن تقع، محمد – صلى الله عليه وسلم – ليس استثناء لشخصيات تاريخية أخرى ....، يبدو أن الأسطرة هي قدر كثير من الشخصيات التاريخية خاصة الأنبياء "([١])

ويزعم (نفاة اللاهوت) أن الكتب السماوية (التوراة والإنجيل والقرآن) صدى للتراث الإنساني القديم من الأساطير والخرافات والتراث الشعبي؛ فعلى طريقة هذه المصادر الأسطورية تمت صياغة تاريخ الأنبياء وعقائد الأديان وغيبياتها، ونضرب مثلا بما ذكروه عن (الأناجيل)،" خلق كاتب الإنجيل - يقصد كاتب إنجيل مرقس- معظم شخصياته وأحداثه دون الاعتماد على تقليد أو مصدر سابق، بل قام بمحاكاة الملاحم (الهوميرية) التي ضمنت لليونان والثقافة واللغة اليونانية مكانة لا تضاهى لمدة ألف عام على الأقل، أما كاتب إنجيل (لوقا) فقد قرأ (مرقس) باعتباره خيالا تاريخيا، ووسع من نطاق محاكاته المعروفة .."([٢])

بل ويزعمون أن العقائد الدينية كذلك صدى لتاريخ بشري طويل،" من الجدير بالملاحظة هو أن الأديان التي يطلق عليها بدائية، تشترك مع الأديان الأكثر تطورا ولاسيما التوحيدية؛ في نظرتها للكون والقوى العليا تلك التي تسكن في السماء، التي تتحكم بمصائرنا وبمصائر هذا الكون العظيم .."([٣])

ولاشك أن هذه النزعة التشكيكية لها ما يبررها مع كتب وشخصيات فقدت سندها التاريخي تماما؛ أما في الإسلام فكتابه لم يصب بتحريف،

---

[١]- من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ : العفيف الأخضر ، ط منشورات الجمل (كلونيا – ألمانيا) ، (بغداد)، أولى ٢٠١٤م، ص١٣ – ١٤

٢- أسطرة يسوع من معلم يهودي إلى بطل ملحمي : دينيس ر ماكدونالد ، ترجمة / مايرنا غبريال ، ط المركز الأكاديمي للأبحاث (العراق – تورينتو ، كندا) أولى ٢٠٠٥م ، ١٩

٣- تاريخ الجنة : فالح مهدي ، ط بيت الياسمين للنشر والتوزيع (القاهرة) أولى ٢٠٢٥م، ١٧

وقرب عهده وكثرت مصادره، وشهادات المعاصرين للنبي – صلى الله عليه وسلم – حتى من غير المسلمين، بما ينفي هذا التشكيك في حق الإسلام ورسوله تماما (١)

مما يجعل هذه الأداة غير فاعلة في التشكيك في الإسلام، مما يثبت أن تعميم هذه الأدوات من قبل (نفاة اللاهوت) تحكم بلا دليل .

---

[1]- وقد تتبع المستشرق (روبرت ج هويلاند) شهادات كثيرة من معاصريه – صلى الله عليه وسلم – ومع إجحاف هذه الشهادات إلا أنها تثبت بمقياس الملاحدة الوجود التاريخي للإسلام ونبيه يراجع / الإسلام كما رآه الآخرون – مسح وتقييم للكتابات المسيحية واليهودية والزرادشتية عن الإسلام المبكر : روبرت ج هويلاند ، ترجمة / هلال محمد الجهاد ، ط المركز الأكاديمي للأبحاث (العراق – تورنتو – كندا) أولى ٢٠١٤م .

المطلب الخامس

التحريض ضد الأديان عموما والإسلام خصوصا

ادعى نفاة اللاهوت أن الأديان عموما والإسلام خصوصا يقوم على منافاة أسس الحضارة المعاصرة، وبالتالي فهو عائق أمام التقدم ورفاهية الإنسان، وفي تأكيد هذا الادعاء كالوا مجموعة من الاتهامات للأديان حتى يشوهوها في مخيلة الجماهير ومن هذه الاتهامات ما يلي :

١- استخدام الأديان كأدوات للسيطرة الاجتماعية :

يدعي نفاة اللاهوت أن الأديان على عمومها نشأت رد فعل على الخوف الإنساني من المجهول ومظاهر الطبيعة، وأضفى الإنسان من خياله الخائف المريض صفاتا لكائن إلهي، أودع فيه كل ما يرجوه لنفسه من قوة وسطوة في مواجهة مظاهر الطبيعة، ولاذ الإنسان بوهمه الذي اخترعه، وكلما ازداد الخوف في قلب الإنسان كلما زاد خضوعه والتزامه تجاه هذا الكائن، واستغل ذوو الذكاء من الناس جهل الجهال وسيطروا عليهم واستغلوهم باسم الإله ،" وهكذا مارس الدجالون المنتسبين للألوهية الحكم المطلق وأصبحوا مستبدين، وبالرعب يحكمون، تبارك الآلهة إسرافهم وجرائمهم، فقد نصبوا طغاة الآلهة نفسها وخدامها، والتي باسمها يغفر لهم الجرم والحماقات، ووعد السماء يؤيد ويبارك أولئك الذين يعلنون أوامرها للفانين.."([١])

والإسلام برئ من هذه التهمة؛ فليس لأحد أن يحكم باسم الله – تعالى – ولا أن يتكلم بالنيابة عنه، فالكل عبيد لله؛ نعم هناك علماء ومختصون في الدين الإسلامي، ولكن سلطتهم ليست كهنوتية بل وعظية تعليميةفقط.

٢- عنف الأديان التوحيدية عموما والإسلام خصوصا:

يعتقد المنظرون (لعلم نفي اللاهوت) أن الأديان التوحيدية بوصفها (أديان ثانوية) جاءت بعد الأديان الوثنية القديمة الكبرى (الأديان الشرقية القديمة) ، ومثلت قطيعة مع سمات هذه الأديان ومن أهمها (التعدد المفرط – التسامح)، فالأديان التوحيدية من أهم خصائصها العنف والإقصاء، " ولا يخفى علينا بأن هذه الأديان هي بطبيعتها – يعني الأديان التوحيدية - (غير متسامحة)، ولا يعني هذا عتابا أو لوما، وقد ادعى (دافيد هيوم)

١- العدوى المقدسة التاريخ الطبيعي للخرافات : بول هنري تيري – بارون دي هولباخ ، مرجع سابق ، ص ١٩ – ٢٠

بأن من المسلم به هو ليس قدم مذاهب تعدد الآلهة على مذاهب التوحيد وحسبن وإنما ارتباط هذه الفرضية بتسامح مذهب تعدد الآلهة وعدم تسامح التوحيدية "(١)

ويقول (ميشيل أونفري): " لنتوقف عن ربط الشر فوق الأرض بالإلحاد، ويبدو لي أن وجود الله قد أنتج باسمه من المعارك والمجازر والصراعات والحروب أكثر مما أنتج من السلام والسكينة ومحبة القريب وغفران الذنوب والتسامح "(٢)

فيخلص (نفاة اللاهوت) إلى انعدام الفائدة من الدين خاصة مع بروز الأصوليات ،" لا يختلف اثنان في وطننا العربي يشهدانما يجري فيه من تخريب ودمار وتقطيف رؤوس وأوصال وتفجير واغتصاب وسبي، بأن الذين ذو تأثير سلبي على المجتمع؛ الخلاف قد يبدو على أي دين هو الصحيح، وأن هذا ليس هو الدين الصحيح، والغريب أننا نسمع هذا الرأي من بعض الأشخاص النتدينيي الذين يقولون أن الدين ضار للمجتمع – كذا– "(٣)

والحق أن هذه التهمة تصدق على (بعض الأديان التي تبيح قتل مخالفيها لأجل المخالفة فقط)، والإسلام برئ من تلك التهمة، ذلك أنه لا يجوز أن يعتدى على نفس إلا بحق وسبب غير المخالفة؛ فالقصاص أو رد الاعتداء هو السبب الوحيد المبيح لقتل النفس في الشريعة الإسلامية، ولا يجوز قتل أي إنسان بعيدا عن هذين السببين، قال – تعالى :" مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ(٣٢) "[سورة المائدة ٣٢]، وسلوك المتطرفين ممن ينتسبون للإسلام ليس حجة على الإسلام وأهله .

---

١ التمييز الموسوي أو ثمن التوحيدية : يان أسمان ، ترجمة / حسام الحيدري ، ط منشورات الجمل (بغداد – كلونيا)أولى ٢٠٠٦م، ص٢١

٢- نفي اللاهوت: ميشيل أونفري ، مرجع سابق، ص ٦٠

٣- قضية تحرير العقل : نخبة من فلاسفة وكتاب القرنين الأخيرين ، ترجمة / إبراهيم جركس ، ط الدار الليبرالية (برلين – ألمانيا)، ٢٠٢١م، ٧

٣- هناك جانب عاطفي لا عقلاني ولا منطقي في الدين يغذي شعورا وأعمالا متضاربة :

فيغذي الفنون والحروب في نفس الوقت، " كما إنه يتضن – أي الدين – جانبا عاطفيا لا علاقة له بما هو مادي وباهتمامات العلم التقنية، وهذا الجانب العاطفي هو الذي ألهم بعضا من الفن العظيم والحروب الدموية والأعمال اللطيفة والفلسفة الأكثر نصوعا في التاريخ "(١)

إن الالتقاء مع (المقدس) التقاء بالمذهل الذي يخرج الإنسان عن اتزانه، ويضفي عليه طاقة غير مسئولة تلغي الاختيار العاقل بين الأشياء؛ فإذا أحب الإنسان شيئا أحبه بجنون، وإن كره شيئا كرهه بجنون (٢)

فالذوبان في الإيمان بالله – حسب ادعاء الملاحدة – ضرب من الدوافع المفضية إلى الجنون، الذي يهدد كل مؤمن بما لا تحمد عقباه (٣)

هذا الهوس غير موجود في الإسلام، بل الإسلام عقلاني مسئول، يبني سلوك أتباعه على احترام الذات الإنسانية وحرمة بني آدم، لا يبيح لأتباعه نهج الشطح، بل يضبط أقوالهم وأفعالهم بضوابط الرزانة والعقل .

٤- لم يعد هناك حاجة وجودية للأديان:

بناء على اعتبار أنسنة الدين، وربطه بالاحتياجات الإنسانية؛ فوجود الأديان هو لسد حاجة إنسانية للراحة والسكينة، فمتى توفرت في غير الدين فلا حاجة إليه، ومتى احتيج إليه فتعاد الأيديولوجيات الدينية معلمنة ومنزوعة الغيبيات والكهانة، " إذا تصورنا مجتمعا ملحدا تعوزه الراحة، فإن أقرب حلول المشكلة الأنطولوجية سوف يكون الدين، أما في المجتمعات التي تعاني من وطأة الدين وهيمنة اللاهوت فإن الحل الوحيد لمشكلاته سوف يكون (نفي اللاهوت) ..."(٤)

١- الدين من منظور فلسفي – دراسة ونصوص - : روبرت س .سولمون ، ترجمة / حسون السراي ، ط العارف للمطبوعات (بيروت) أولى ٢٠٠٩م، ص ٢٠

٢- المتعصبون – جنون الإيمان : برنار شوفييه ، ترجمة / قاسم المقداد ، ط دار نينوى (دمشق)، أولى ٢٠١٧م، ص ١٧

٣- ينظر/ فيما وراء الله والدين – الله العدم في خصام الأضداد لدى إميل سيوران : بوجاوي ناصر الدين – بوزيدي نعيم ، ط مؤمنون بلا حدود (الرباط) أولى ٢٠٢٢م، ٩٧- ٩٨

٤- نقطة عمياء : عبد المنعم المحجوب ، مرجع سابق ، ص ٩٤

فلا توجد – حسب زعمهم – في الدين مميزات ذاتية تؤهله للبقاء والاستمرار – حاجة الإنسان فقط هي ما تجيز له البقاء - ولولا مجموعة من العوامل الخارجة عن الدين لانتهى وجوده؛ فيرتبط بالجانب الاجتماعي الذي يورث الآباء والأجداد اعتقاداتهم لذريتهم دونما إرادة من الأحفاد، ولولا ذلك لانتهى الأديان، " تبين الأبحاث بشكل جلي أن الاعتقادات والسلوكيات الدينية ناشطة جراء عوامل، (الاحتضان العائلي – الجنس – الحالة الاجتماعية – أحداث الحياة والتقدم في السن "(١)

وارتبط بأوهام النفس الإنسانية وتطلعاتها كذلك، فقد استطاع الدين وفق – زعمهم – أن يتحور ليتناسب مع مخاوفنا وآمالنا وجوعنا ورغباتنا ويستغل غرائزنا – يقصد البشر – من التطلع إلى الأمل، وقد تنافست كثير من الأديان، وبقي الأجدر على مجاراة أوهام النفس البشرية (٢)

والحق أن وجود الدين وبقاءه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا جدال فيه، فهو متجذر في النفس الإنسانية ، مقرون بحاجاتها وضرورات بقاءها، فالقول بانتفاء سبب بقاءه، واقترانه بالعادة والحاجة فقط مخالف للواقع والعقل .

٥- الأديان ترافقها الخرافات أينما حلت، وسمتها التناقض :

فالإيمان بالمعجزات وخوارق العادات جزء أصيل من أي دين، وبالتالي فهو خارج عن حدود العقل والإدراك الواعي – حسب زعمهم -؛ ويقترن بالتصور السحري الأسطوري للعالم، الذي يناقض عصر العلم المرتبط بالقانون الكوني وتسخير خامات الكون بطريقة علمية وتقنية، ومن ثم فلم يعد هناك حاجة للمعجزات في إبهار الإنسان، ومن ثم فيسقط جزء كبير من الأديان (٣)

والحق أن المعجزات لا ترتبط بالتصور الخرافي للعالم، بل ترتبط بالنظرة الإيمانية واحتمالات طبيعية وبدائل وجودية للمادة يتم الترجيح بينها

١- السوق الدينية في الغرب : دارن أ شركات – كريستوفر ج إليسون، ترجمة / عز الدين عناية ، ط صفحات للنشر (دمشق) أولى ٢٠١٢م، ص ٢٠

٢- ينظر / فايروس الدين لماذا نؤمن بالله : كريغ أ جيمس ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤

٣- ينظر / المعجزات : جفري آش ، ترجمة / محمود منقذ الهاشمي ، ط منشورات الهيئة السورية للكتاب (دمشق) ٢٠١١م، ٢١- ٢٢

بقدرة الله – تعالى -، وليست مناقضة للقوانين العلمية بل للعادة الجارية فقط ([1])

ويزعم (نفاة اللاهوت) أيضا بأن السمة العامة للأديان التناقض في أفكارها ونصوصها، بل ويزعمون أن وجود هذه التناقضات سمح للأديان بالتغلغل في المجتمعات الإنسانية، حيث أعطتها قدرة على الإجابة على التساؤلات المتناقضة، " كما أن احتواء القرآن على قانون وأخلاقية وحتى على تناقضات أكسبه تأثيرا عظيما ومعنى مطلقا، فالتناقضات موجودة في كل الأديان الكبرى، وهي التي تجعلها تجيب على كل تساؤل وتتجه إلى كل الأفراد والجماعات، بتعدد حاجاتهم ورؤاهم، ومع تناقض عقولهم وأهوائهم"([2])

ويركز (نفاة اللاهوت) في دعاياتهم على هذا المعنى، ويجعلون منه مادة دسمة لتشويه صورة الأديان .

ولكن هذا التناقض المزعوم من الممكن أن يصح على بعض الأديان التي تعرضت كتبها ومفاهيمها للتحريف والتلاعب، ولكن الإسلام سلم كتابه وعقيدته وتشريعاته من التناقض؛ واختلاف الرؤى في مسألة واحدة مرده إلى تعدد زوايا الرؤية، وتنوع السياقات في القرآن الكريم فقط ([3])

٦ ضرورة دوام الحرب على الأديان:

فمع خفوت صوت الأديان والمؤسسات الدينية في الغرب من الناحية

١- ينظر / المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر :عمرو شريف، ط دار نيو بوك(القاهرة) أولى ٢٠١٨م، ص ٢١٠ : ٢١٢

٢- الوحي والقرآن والنبوة : هشام جعيط، ط دار الطليعة (بيروت) ثانية ٢٠٠٠م، ١٠

٣- مثلا قضية الفعل الإنساني نجد نصوصا تثبت هذه الحرية بما لا يدع مجالا للشك مثل قوله – تعالى – " وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)"[سورة الشورى ٣٠]، ومواضع أخرى تثبت أن كل شيء هو بإذن الله – تعالى – مثل قوله – تعالى - :" ما أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[سورة التغابن ١١]، فالموضع الأول يشير إلى الفعل الإنساني (الإرادة الإنسانية) المباشرة الإنسانية للفعل، أما الموضع الثاني فيشير إلى الإرادة الإلهية التي لا يحدث شيء في الكون إلا بإذنها وإرادتها، ولا تناقض لأن الإرادة الإلهية إرادة إيجاد، والفعل الإنساني كسب وتحصيل بقدرة مقارنة للفعل لا سابقة ولا باقية كما هو معلوم .

الدينية (١)، إلا أن الدين كامن في النفوس ومستكن في القناعات الشخصية والثقافة الجمعية، لذلك حتى مع غياب رجال الدين الفعلي يظل أثرهم واضحا(٢) ما يجعل الحرب على الدين ذات راهنية دائما، فيجب منع وقمع دراسة النصوص الدينية في المدارس، إلا في إطار التأريخ، وبيان معارضتها لروح العصر؛ فتدرس كما يدرس تاريخ الفن(٣)

لابد من قمع الطقوس الدينية ومنع ممارستها علانية وبصفة جماعية لأنها ترسخ – على حد كذبهم – الاستبداد والخنوع، وتسلب الإنسان عزته وكرامته، " وهكذا تحولت الآلهة إلى ملك ظالم متقلب المزاج يحظى بولاء وإجلال الشعوب التي تسعى في تملقه بشتى الأفعال الخسيسة، ولكسب رضاه بالهدايا والأضاحي والتضرع إليه بالصلوات: فمثله مثل كل الملوك وكل بني البشر الذين تحركهم المصلحة والرغبة في امتلاك أموال الآخرين وجني ثمار أتعابهم "(٤)

والحق أن هذا التعميم على الأديان باطل؛ إذ ينطبق هذا التصور على الأديان التي يكون فيها العبادة الهيكلية (تقديم القرابين، الاعتماد على هيئة كهنوتية وسيطة بين الإله وعابديه)، ولكن الإسلام برئ من هذه الاتهامات وخارج عن هذا التعميم الجائر؛ إذ ليس فيه عبادة هيكلية، تقوم العبادة فيه على فلسفة قوامها على أن نفع العبادة يعودعلى العابد ولا ينتفع الله – تعالى – منها بشيء، قال – تعالى - :" وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ(٣٧) "[سورة الحج ٣٦ – ٣٧]. فنفع الأضاحي والذبائح يعود على فقراء المؤمنين منفعة دنيوية بحتة ؛ فينالون

١- وهذا لا ينفي ازدهارالتوظيف الديني للمسيحية واليهودية في خدمة المركزية الغربية المعاصر ة، وهو ما يظهر في ازدهار الصهيونية والجماعات الإنجليكانية والمسيحانية في الغرب، وضعف الالتزام الديني عموما .

٢- ينظر بقاء أثر الدين حتى بعد زواله رسميا كتاب/ سيرة الله : جاك مايلز، ترجمة / ثائر ديب، ط دار الحوار (سورية) ، أولى ١٩٩٨م، ص ١٧

٣- ينظر / نفي اللاهوت : ميشيل أونفري ، مرجع سابق ، ص ٥٥: ٥٦ و ص ٦٢

٤- العدوى المقدسة التاريخ الطبيعي للخرافات : بول هنري تيري – بارون دي هولباخ ، مرجع سابق ، ٢١

من لحموها ومنافعها الأخرى، بينما يحصل الذابح والمضحي تقوى الله ورضاه، ولا ينال الله – تعالى – منها شيئا .

وقال – تعالى – في شأن الزكاة :" خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(١٠٣) (١٠٤) "[سورة التوبة ١٠٣-١٠٤]؛ فأخذ الله – تعالى – للصدقة ليس أخذا ماديا، بل هو حث على الأخلاص فيها وقصد و جهه – تعالى – بها، والزكاة والصدقة هي لمستحقيها من الفقراء والمساكين حقيقة ، قال – تعالى - :" إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٦٠) "[سورة التوبة ٦٠]

ومن ثم فالحكم على الإسلام بنفس الحكم الذي يحكم به على أديان الكهنوت حكم جائر لا أساس له .

مما سبق يتضح أن هذه الأدوات ليست عامة في تناولها لجميع الأديان،

المبحث الثالث
نموذج تطبيقي لأدوات نفي اللاهوت
أخلاق ما بعد الأديان

الغاية النهائية (لعم نفي اللاهوت) إيجاد بديل للأديان، ينظم شئون الحياة، وحيث إنه يقوم على نفي الألوهية والغيوب والإكتفاء بالمادية والدنيوية البحتة، فإنه لا سبيل إلى البديل إلا أن يكون بناءا أخلاقيا ينسجم مع هذه الأهداف والغايات، ولكن اصطدموا بوجود بناء أخلاقي ديني جاهز ومطبق ومختبر، فكان لابد من نفي صلاحية هذا النظام الأخلاقي وبيان عواره، حتى يفسحوا المجال لنموذجهم الأخلاقي.

المطلب الأول
مبررات البحث عن أخلاق ما بعد الأديان

يدعي المروجون (لنفي اللاهوت) ضرورة البحث عن أخلاق ما بعد الأديان، وقد اعتبروا ذلك ضرورة قصوى؛ ذلك لما يلي :

١- أنهم اعتبروا أن الأخلاق الدينية مرتبطة بالنصوص الدينية التي استمدت منها، هذه النصوص تاريخية ارتبطت بظرفها التاريخي، وهو مخالف لواقعنا، ومن ثم فهي عبء يجب التخلص منه، والحبث عن بدائل لها بخلفية جديدة تلاءم عصر ما بعد الحداثة (١)

٢-اعتبروا أن أسلوب الأديان في فرض الأخلاق والحث عليها أسلوب يزري بالإنسان وقيمته، حيث يعتمد على (العصا والجزرة الإلهيتين)، وهو ما يزري بقيمة الإنسان، فضلا عن عدم جداوه في كثير من الأحيان

٣-إقامة وبناء الثقة بين الأفراد كفيل بالاستغناء عن الدين في فرض النظام، وإقامة العدل، وبالتالي فالدين في ميدان الأخلاق أصبح (فضلة) يمكن الاستغناء عنه بما هو أجدى وأنفع – حسب زعمهم –

٤- الاختلافات والتعصب المتبادل بين الأديان باعث على التقليل في جدوى الأخلاق الدينية التي لا تطبق بنودها إلا على القريب (المشارك في

١- ينظر/ عشرون سؤالا حول الإله :أرمين ناوابي ، ترجمة / عبد الله أحمد ، ط الدار الليبرالية (ألمانيا)، ص ٣٦ – وكذلك / نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية : محمد أركون ، ترجمة / هاشم صالح ، ط دار الساقي (بيروت – لندن)ألى ٢٠١١م، ، ص ٩٣

النسب أو الدين) فقط دون أن تكون لها سمة عامة (١)

والحق أن ما ذكروه من مبررات للبحث عن أخلاق ما بعد الدين؛ ليس صحيحا بإطلاق؛ فما زالت الأخلاق الدينية في ذاتها فاعلة؛ فهي لا تخاطب ظرفا تاريخيا، وإنما تخاطب الإنسان الطبيعي صاحب الميول والرغبات والأضواق الواحدة، الذي لم تختلفدوافعه ولا محفزاته من عصر لعصر؛ بل بقيت فضائله واحدة ورذائله كذلك، وبالتالي فكون النصوصو الدينية تاريخية أو أبدية لا يؤثر في فاعلية وصلاحية المبدأ الأخلاقي.

كذلك حرف المبدأ الأخلاقي عن أصله المميز الصالح عن طريق سوء التطبيق وفساد التنفيذ، ليس دافعا للتنصل من المبدأ ذاته، بل بالأحرى إرجاعه إلى أصله، وتطبيقه بصورة إيجابية فاعلة، ومن ثم فلا حاجة لإيجاد أخلاق ما بعد الأديان كما يزعمون.

ولا يفوتنا أن ننبه أن هذه الأحكام لها ما يبررها في البيئة المسيحية التي ثار عليها هؤلاء الفلاسفة جميعا،ومثلت بالنسبة لهم مادة التحليل والتعميم في نفس الوقت(٢)، ولو أنهم نالوا قدرا بسيطا من المعرفة بالإسلام لأدركوا أنه قد احتوى على أكمل نظام أخلاقي يقوم على عقيدة صافية متوازنة وثيقة الصلة بالله – تعالى –

١- ينظر / كسر التعويذة – الدين كظاهرة طبيعية : دانيال دينيت ، ترجمة / سوسن عمران ، ط منشورات تانيت (دمشق – بركسيل) أولى ٢٠٢٣م، ٣١٢ : ٣١٨ – وينظر / العدوى المقدسة التاريخ الطبيعي للخرافات : بول هنري تيري – بارون دي هولباخ ، مرجع سابق، ص ٢٣١ وما بعدها .

٢- ينظر تحليل هولباخ لعدم جدوى اليهودية والمسيحية ليمثلا نظاما أخلاقيا؛ حيث اعتبر أن الحكايات الكتابية في تمجيد القسوة والعنف والحقد والدمار والرذائل الأخلاقية في أشخاص الأنبياء والآباء يحول دون وجود قدوة صالحة فيها ، العدوى المقدسة التاريخ الطبيعي للخرافات : بول هنري تيري – بارون دي هولباخ ، مرجع سابق،ص ٢٣٦ وما بعدها .

المطلب الثاني

خصائص أخلاق ما بعد الأديان

بعد ثورة (نفاة اللاهوت) على الأخلاق الدينية، وزعمهم عدم صلاحيتها لتسيير الحياة الإنسانية في المجتمعات الحديثة ذات الصبغة الإنسانية، وضعوا مجموعة من الاشتراطات والخصائص للأخلاق التي يريدون أن تسود في المجتمعات الإنسانية من هذه الخصائص :

١- أن تتأسس على الفطرة؛ الاحتياجات والمتطلبات، وعلى مشاغل واهتمامات كائنات السلالة البشرية التي تعيش في مجتمعات، والتي تتحد مطالبها واحتياجاتها بعد عزل المتغيرات الزمانية والمكانية .

٢- أن تتخلى عن أي أساس لاهوتي؛ فالأخلاق والفضائل تجمع الناس، وتفرقهم العقائد والكهان.

٣- أن تعتمد على العقل البشري الذي بإمكانه أن يفرق بين الحق والباطل، والخير والشر.

٤- أن تحقق المنفعة للبشر؛ فالإثم هو ما يضر بالجنس البشري، والبر هو ما ينفع البشر؛ فالميزان النفع الذي يتحقق للبشر .([١])

٥- ينبغي أن تكون الأخلاق ما بعد الدينية متغيرة وسائلة؛ تتغيا مسايرة التطور الإنساني، وتتحرر من أسر القومية والقبيلة والقطرية والأخوة الدينية؛ بل تكون عامة تشمل جميع الناس، وتستند إلى إجماعات بشرية تحت مظلة هيئات دولية ، " "ينبغي العلم أن موضوعات علم الأخلاق عديدية ومتغيرة ، لكن التساؤلات الأساسية والقواعد ينبغي أن تميل نحو الوحدة الكونية التي تحمل الشرط البشري كله ؛ أي تنطبق على جميع البشر ، ينبغي أن تشمل الوضع البشري في جميع الثقافات والتراثات الدينية والفئات الاجتماعية والأنظمة السياسية ، لكنهذا المقصد الفلسفي الواسع لما ينبغي أن تكون عليه المبادئ الأخلاقية القطعية لا يمكن أن يكتفي بعد اليوم بالمثالية الكانطية ؛ فالأمور توسعت وتغيرت ومرجعيتنا الأخلاقية أصبحت

١- ينظر/ العدوى المقدسة التاريخ الطبيعي للخرافات : بول هنري تيري – بارون دي هولباخ ، مرجع سابق، ٢٤٠ وما بعدها .- وكذلك / نظام الطبيعة – قوانين العالم الأخلاقية والمادية : بارون دي هولباخ ، ترجمة وتقديم / منال محمد خليف، ط دار أبكالو (بغداد) ثانية ٢٠٢٤م، ج ١ ص ١٢٤

نصوصا كبري مثل الاعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة ، أو دستور الاتحاد الأوروبي الأحدث عهدا "([١]).

والحقيقة أن هذه الخصائص المذكورة تناقض الغاية من الدرس الأخلاقي؛ فالأخلاق التي تصلح حال الإنسانية لابد أن تتصف بالمعيارية والثبات ومراعاة الفطرة الإنسانية، ولو كانت الأخلاق نابعة من السلوك الإنساني فما الفائدة من وجودها أصلا؛ فالأخلاق قواعد معيارية لتهذيب وضبط السلوك الإنساني بمقاييس واضحة ومعلومة وخيرة، حتى لو تعارضت مع مصلحة الفرد أو جماعة من الجماعات، وفصل الأخلاق عن الدين يجعلها بلا قيمة؛ فالدين يجعل للأخلاق بعدا خاصا في الرقابة الذاتية بسبب الإيمان بالله – تعالى – ما يجعل السلوك الأخلاقي نابعا من إيمان واقتناع بأن الله يرى، فلا يوجد بديل للدين في تنظيم البعد الأخلاقي للإنسان؛ فالقيم السائلة المتغيرة لا تضبط سلوكا ولا تهذب طباعا؛ بل هي تقنين للوضع الفاسد فقط ([٢])

١- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية : محمد أركون ، مرجع سابق ، ص ١٣٧

[٢]- ينظر في نقد قيم الحداثة الغربية في مجال الأخلاق كتاب / سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية : طه عبد الرحمن، ط المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء) أولى ٢٠٠٠م.

المطلب الثالث

نموذج لأخلاق ما بعد الأديان

لا يمكن أن نستبين خطر النموذج الأخلاقي الذي يقدمه (علم نفي اللاهوت) إلا إذا استعرضنا نماذج للمعايير التي وضعت لتكون استرشادية في تحديد أخلاق ما بعد الأديان، ونضرب مثلا واحدا للتحول الذي حدث في الأخلاق بين النموذج الأخلاقي المعتمدعلى الأديان.

فمثلا حدث تحول كبير من الأخلاق الإيثارية إلى الأخلاق الموضوعانية؛ بمعنى أوضح حدث تحول من الأخلاق التي تسعى للخير العام وإرضاء الإله بنفع عباده، والرضا عن النفس بنفع الآخرين والقيام بالواجب ولو على حساب النفس إلى نموذج أخلاقي آخر يقوم على معيار النفع الذاتي للإنسان، ويمكن بيان ذلك فيما يلي :

أ- الأخلاق الإيثارية (ذات الأصول الدينية):

تعلم الأديان على وجه العموم السعي في الصالح العام، والتضحية بمصلحة الفرد إذا كان فيه صلاح المجموع، وهناك كثير من النصوص الدينية التي تدل على هذا المعنى في مختلف الأديان، نسوق بعضها فيما يلي :

- في الإسلام :

١- قوله – تعالى - :" وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٩) "[سورة الحشر ٩].

٢- قوله – تعالى - :" لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ(٩٢) " [سورة البقرة ٩٢]

٣- قوله – صلى الله عليه وسلم - عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماء، فقال: «من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟»، فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا، يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا

فأطفئ السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل، فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة"(١)

وفي الكتاب المقدس جاءت مجموعة من النصوص تدل على الإيثار نورد بعضا منها فيما يلي:

١-جاء في (سفر الأمثال) : " من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه "(سفر الأمثال ١٩ / ١٧)

٢- وجاء في ر سالة (بولس الأولى إلى تيموثاوس) :" أوص الأغنياء في الدهر الحاضر لأ يستكثروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى، بل على الله الحي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع، وأن يصنعوا صلاحا، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع، مدخرين لأنفسهم أساس حسنا للمستقبل، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية" [رسالة بولس الأولى لأهل تيموثاوس ٦ / ١٧ – ١٩].

من هذه النصوص وغيرها كثير ندرك قيمة أن يسعى الإنسان في نفع غيره من الناس ابتغاء الجزاء والمثوبة من الله – تعالى – في الدنيا والآخرة، هذا الأساس الديني لما يسمى (بالأخلاق الإيثارية)، ثم بفعل المادية (حركات نفي اللاهوت)، والاستعاضة عما هو ديني أخروي بما هو دنيوي وعقلي وإنساني بحت، فظهر ما يسمى (بالأخلاق الموضوعانية).

ب - الأخلاق الموضوعانية (ذات الأصول المادية ما بعد الدينية) :

تنص الأخلاق (الموضوعانية) على أن الفاعل لابد أن يكون دائما هو المستفيد، وأنه لا يجوز أن يضحي المرء بمصلحته الذاتية العقلانية نظير خدمة الآخرين والسعي في صلاحهم ، وهذا لا يتم إلا في إطار عقلان يصارم يبن ماهي المصلحة الذاتية الفعلية ويحددها، ولا يمكن مقارنة هذا الضبط العقلي بالأنانية الوحشية أو اختيار الفعل لمجرد تحصيل الرغبة،

١- رواه مسلم في صحيحه كتاب الأشربة – باب إكرام الضيف وفضل إيثاره – حديث رقم (٥٣٥٩) .

وفرق كبير بين الرغبة والمصلحة ([1])

ويمكن أن نبين بعض خصائص هذا النوع من الأخلاق فيما يلي :

١- لا تعتمد على الحقائق الميتافيزيقية ؛ بل تستمد من الواقع، ولذلك أنكرت أن يكون هناك خير أو شرأو قيمة، فكل هذه الألفاظ مخترعات ميتافيزيقية لا قيمة لها .

٢- الميزان الذي يوزن به الخير والشر هو المنفعة التي تعود على الفاعل في ذاته .

٣- العقل وحده هو ما يحدد الصواب والخطأ.

٤- المعيار الأخلاقي الصحيح هو حاجة الإنسان ومنفعته وما تتوقف عليه حياته ورفاهيته ومصلحته الذاتية، وكل ما يدمر حياة الإنسان أو يفقده أي ميزة من ميزاته فهو شر، " إن الأخلاق الموضوعانية تحمل حياة الإنسان بوصفها معيارا للقيمة وحياته الخاصة على أنها هدف أخلاقي لكل إنسان فرد .."([2])

مما سبق يتضح ما فعلته المادية النافية للاهوت والمرجعية الإلهية في الأخلاق، من تحويل هدف الأخلاق إلى منفعة الإنسان الذاتية وتحصي مصالحه هو أولا وقبل أي شيء، ونشر الأنانية بين الناس، مما ينسجم مع الفلسفة الإنسانية التي تعلى من قيمة الإنسان، ولا تنظر إلى أية اعتبارات دينية أو خلقية أو اجتماعية، وعليها بني (علم نفي اللاهوت)، ووظف عطاءات فلاسفتها لنفي اللاهوت، وإقامة (روحانية مادية) تأنسن الحاجة الدينية ، وتحرر الدين من الغيب ، ومن الألوهية الشخصية.

ولا يخفى ما في ذلك من آثار مدمرة على الاجتماع الإنساني، مما يثبت عدم صلاحية (علم نفي اللاهوت) اصطلاحا وأدوات وغايات .

١- ينظر / فضيلة الأنانية – نحو مفهوم جديد للأنانية : آين راند، ترجمة / حسان رابحي – محمد السويلمي ، ط دار سر من رأى (السعودية) ثانية ٢٠٢٢م، ١١ وما بعدها

٢- ينظر / فضيلة الأنانية – نحو مفهوم جديد للأنانية : آين راند، ص ١٥ وما بعدها ، والنص من ص ٣٤ – ٣٥ .

الخاتمة

(علم نفي اللاهوت) هو الصيغة الأكثر حداثة للإلحاد، يتوافق مع (الإلحاد الإيجابي) الساعي لنفي وجود الإله والتدليل على ذلك بكل وضوح، وقد قام على نفي صلاحية الأديان، وإثبات وحدة أصلها، وسعى لتقديم بديل أخلاقي لتسيير حياة الناس، بعد نفي الجان بالميتافيزيقي والألوهية والغيب من حياة الإنسان، ولكنه أنتج أخلاقا يغلب عليها الأنانية والسفه، ما يجعل بنيانه واهيا، ومآلاته مدمرة للإنسانية العاقلة المستقيمة .

النتائج

١- عدم انطباق شروط العلمية بالمعايير الإسلامية والغربية على (علم نفي اللاهوت)، مما يجعل هذا الإطلاق غير علمي .

٢- يهدف (علم نفي اللاهوت) لبناء روحانيات مادية مأنسنة، بعيدا عن الإله والغيب والنبوة.

٣- حمل هذا المشروع الفكري الفلسفي بذور فشله؛ حيث لن يترتب عليه نفع للبشرية، ولا حل لمشكلاتها، بل زاد البشر بلبة وحيرة .

٤-الأدوات التي استخدمها (نفي اللاهوت) وأمكن استخلاصها من كتاباتهم، أدوات فاسدة تدل على عدم فهم للأمور، وتجن واضح، وتحيز في اختيار النماذج، وسوء تفسير لكثير من المعطيات، وسوء طوية في المبالغة في التجريد والتعميم .

٥- المشتركات الإبراهيمية بحسب تحليل (علم نفي اللاهوت) لا وجود لها حقيقة، فالإسلام خارج هذه الأحكام، ولا يصدق عليه منها شيء.

٦- الاتهامات التي كالها مروجوا (نفي اللاهوت) تصدق في كثير من الأحيان على (اليهودية والمسيحية) ، ولا تنطبق كلية على الإسلام .

٧- الخروج عن الأخلاق الدينية هو جر للبشرية إلى مهاوي الأنانية والدمار .

٨- عدم عمومية أدوات نفي اللاهوت، وقصورها عن التعامل مع الإسلام خاصة، مما يثبت أن دواعي (نفي اللاهوت) ليس لها وجود في البيئة الإسلامية، مما يجعل استدعاء هذا المشروع الفكري غير الشرعي للبيئة الإسلامية مشبوه الدوافع وكارثي النتائج .

التوصيات

١- ضرورة رصد التيارات الفكرية المعاصرة، وتصنيفها والرد عليها .

٢- ضرورة التوسع في دراسة والرد على أمهات المؤلفات في الفلسفة المادية ككتاب (جوهر الدين لفيورباخ – والعدوى المقدسة لهولباخ مثلا)، فدراسة هذه المؤلفات والرد عليها، يقطع الطريق على الترويج لها في البيئات الإسلامية، ما يمنع شر هذه المؤلفات عن المجتمعات المسلمة .

٣- ضرورة رصد وتحليل اتجاهات الفكر الغربي المعاصر، فالعالم بفضل التقنيات أصبح قرية صغيية، فما ظهر في الغرب اليوم سيصير موضة في الشرق بعد غد، ما يستدعي جهوزية تامة من حراس الفكر الإسلامي لبيان موقف الإسلام من كل الفكر الوافد أولا بأول .

٤- ضرورة بيان أوجه تفرد الإسلام عن غيره من الأديان، ونشر ذلك في الأوساط العلمية والجماهيرية، ففي ذلك قطع للطريق على مروجي الشبهات حول الإسلام .

٥- ضرورة تتبع دور النشر التي تهتم بنشر وترجمة الكتب الإلحادية والفلسفية المادية فهي غالبا تؤدي أدوار مشبوهة في المجتمعات الإسلامية، وتسعى لنشر الفكر المعوج في البيئات الإسلامية .

أهم المراجع

١. أبجد العلوم : صديق حسن القنوجي ، ط منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق) ١٩٧٨م

٢. إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط دار المنهاج (جدة) أولى ٢٠١١م

٣. الإلحاد الوهم المستحيل : نور الدين قوطيط ، ط مؤسسة السبيل، أولى ٢٠٢٠م

٤. الإلحاد تعليل فلسفي : مايكل مارتن، ترجمة / لؤي عشري ، نسخة اليكترونية

٥. الإلحاد والاغتراب – بحث في المصادر الفلسفية للإلحاد المعاصر : باترك ماسترسن ، ترجمة / هبة ناصر، ط المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية (بيروت) أولى ٢٠١٧م

٦. الإله المجهول عن اللاأدرية : أنتوني كيني ، ترجمة / منال محمد خليف ، ط دار أبكالوا (بغداد) أولى ٢٠٢٣م

٧. الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي : محمد أركون ، ترجمة / محمود عزب ، ط دار الطليعة (بيروت)، أولى ٢٠١٠م

٨. الإيمان الحر أو ما بعد الملة – مباحث في فلسفة الدين : فتحي المسكيني ، ط مؤمنون بلا حدود (الرباط – المغرب)، أولى ٢٠١٨م

٩. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق/ جماعة من المختصين، ط وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية – المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، ٢٠٠١م

١٠. تاريخ العلم والإنسية الجديدة : جورج سارتون، ترجمة وتقديم/ إسماعيل مظهر، ط مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (القاهرة- نيويورك) ١٩٦١م

١١. التاريخ الفلسفي للإلحاد الغربي الحديث : وليد فيالة ، ط مؤمنون بلا حدود ، (الدار البيضاء – المغرب)، ٢٠٢٤م

١٢. تحقيق ما للإلحاد من مقولة : محمد المزوغي ، ط منشورات الجمل (بغداد – بيروت)أولى ٢٠١٤م

١٣. التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، تحقيق/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط دار الكتب العلمية (بيروت)أولى ١٩٨٣م
١٤. التمييز الموسوي أو ثمن التوحيدية : يان أسمان ، ترجمة / حسام الحيدري ، ط منشورات الجمل (بغداد – كلونيا)أولى ٢٠٠٦م
١٥. توطين المنهجية العلمية – مقاربات فلسفية تاريخية ومستقبلية : يمنى طريف الخولي ، ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠٢٤
١٦. جذور الوهم - ملاحظات حول الديانات الإبراهيمية : سعد الياسري ، (موقع دروب) نسخة اليكترونية
١٧. جوهر الدين : لودفيغ فويرباخ ، ترجمة وتعليق / نبيل فياض، دار الرافدين (بيروت)، أولى ٢٠٢١م
١٨. حاشية ابن الأمير على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد : محمد بن محمد بن أحمد عبد القادر السنباوي الأزهري ، تحقيق/ أحمد فريد المزيدي ، ط دار الكتب العلمية (بيروت) أولى ٢٠٠١م
١٩. الحداثة كحاجة دينية : توفيق السيف ، ط ٣ بدون بيانات دار النشر
٢٠. الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية : محمود حب الله ، ط دار إحياء الكتب العربية (القاهرة) ١٩٤٨م
٢١. الدين من منظور فلسفي – دراسة ونصوص - : روبرت س .سولمون ، ترجمة / حسون السراي ، ط العارف للمطبوعات (بيروت) أولى ٢٠٠٩م
٢٢. السوق الدينية في الغرب : دارن أ شركات – كريستوفر ج إليسون، ترجمة / عز الدين عناية ، ط صفحات للنشر (دمشق) أولى ٢٠١٢م
٢٣. سيرة الله : جاك مايلز، ترجمة / ثائر ديب، ط دار الحوار (سورية) ، أولى ١٩٩٨م
٢٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين (بيروت) رابعة ١٩٨٧م
٢٥. العدوى المقدسة التاريخ الطبيعي للخرافات : بول هنري تيري – بارون دي هولباخ ، ترجمة / لوصيف رحومة، ط دار اباكو(بغداد) أولى ٢٠٢٤م

٢٦. عشرة أنواع للإلحاد – دوافع الملحدين والمتشككين : أليكس ماكفريلاند، ترجمة / القس / جورج عزت ، ط دار الثقافة (القاهرة)أولى ٢٠١٤م

٢٧. عشرون سؤالا حول الإله :أرمين ناوابي ، ترجمة / عبد الله أحمد ، ط الدار الليبرالية (ألمانيا)،

٢٨. العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان : محمود حمدي زقزوق ، هدية مجلة الأزهر شهر رجب عام ١٤١٥ه

٢٩. فضيلة الأنانية – نحو مفهوم جديد للأنانية : آين راند، ترجمة / حسان رابحي – محمد السويلمي ، ط دار سر من رأى (السعودية) ثانية ٢٠٢٢م

٣٠. فلسفة كارل بوبر منهج العلم – منطق العلم : يمنى طريف الخولي ،ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠٢٠م

٣١. فيروس الدين – لماذا نؤمن بالله : كريخ جيمس ، ترجمة / إبراهيم قيس جركس ، ط الدار الليبرالية (برلين)،

٣٢. فيما وراء الله والدين – الله العدم في خصام الأضداد لدى إميل سيوران : بوجاوي ناصر الدين – بوزيدي نعيم ، ط مؤمنون بلا حدود (الرباط) أولى ٢٠٢٢م

٣٣. -كسر التعويذة – الدين كظاهرة طبيعية : دانيال دينيت ، ترجمة / سوسن عمران ، ط منشورات تانيت (دمشق – بركسيل) أولى ٢٠٢٣م

٣٤. كيف وجدت الآلهة - ديانة التوحيد القمري: جون كيراتشر، ترجمة / إبراهيم قيس جركس ، ط الدار الليبرالية (برلين) ٢٠٢٠م

٣٥. المادية ودورها في البناء المعرفي لنظريات الإلحاد المعاصر – عرض ونقد (رسالة دكتوراة) : عبد الفتاح فتحي حمودة، إشراف/ أ د جابر زايد عيد السميري ، قسم العقيدة الإسلامية – كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة ، أغسطس ٢٠٢١م،

٣٦. المتعصبون – جنون الإيمان : برنار شوفييه ، ترجمة / قاسم المقداد ، ط دار نينوى (دمشق)، أولى ٢٠١٧م

٣٧. محاضرات حول جوهر الدين : لودفيغ فويرباخ، ترجمة / نبيل فياض، ط الدار الليبرالية (برلين)، أولى ٢٠٢٢م

٣٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – (بيروت)،

٣٩. المعجزات : جفري آش ، ترجمة / محمود منقذ الهاشمي ، ط منشورات الهيئة السورية للكتاب (دمشق) ٢٠١١م

٤٠. المعجم الفلسفي : جميل صليبا ، ط دار الكتاب اللبناني (بيروت) ١٩٨٢م،

٤١. المعجم الوسيط: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع اللغة العربية (القاهرة) ط٢ ١٩٧٢م

٤٢. المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر :عمرو شريف، ط دار نيو بوك(القاهرة) أولى ٢٠١٨م

٤٣. مفهوم المنهج العلمي : يمنى طريف الخولي، ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠٢٠م

٤٤. من تاريخ الإلحاد في الإسلام : عبد الرحمن بدوي ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ثانية ١٩٨٠م

٤٥. موسوعة لالاند الفلسفية ، أنندريه لالاند،، ترجمة / خليل أحمد خليل – إشراف / أحمد عويدات، ط منشورات عويدات (بيروت – باريس)

٤٦. نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية : محمد أركون ، ترجمة / هاشم صالح ، ط دار الساقي (بيروت – لندن)ألى ٢٠١١م

٤٧. نظام الطبيعة – قوانين العالم الأخلاقية والمادية : بارون دي هولباخ، ترجمة وتقديم / منال محمد خليف، ط دار ابكالو (بغداد) أولى ٢٠١٤م

٤٨. نظام الطبيعة – قوانين العالم الأخلاقية والمادية : بارون دي هولباخ ، ترجمة وتقديم / منال محمد خليف، ط دار أبكالو (بغداد) ثانية ٢٠٢٤م

٤٩. نفي اللاهوت: ميشيل أونفري، ترجمة / مبارك العروسي، ط منشورات الجمل (بغداد) أولى ٢٠١٢م

٥٠. نقطة عمياء وراء جدل التأليه ونفي اللاهوت (تطبيقات فلسفية وملاحظات عمل): عبد المنعم المحجوب، ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠٢٣م

Key References

١. The ABCs of Knowledge: Sadiq Hassan Al-Qannouji, Published by the Ministry of Culture and National Guidance (Damascus) ١٩٧٨

٢. Revival of Religious Sciences: Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad Al-Ghazali, Published by Dar Al-Minhaj (Jeddah) First Edition ٢٠١١

٣. Atheism: The Impossible Illusion: Nour Al-Din Qutayt, Published by Al-Sabeel Foundation, First Edition ٢٠٢٠

٤. Atheism: A Philosophical Justification: Michael Martin, Translated by Luay Ashri, Electronic Version

٥. Atheism and Alienation – A Study in the Philosophical Sources of Contemporary Atheism: Patrick Masterson, Translated by Heba Nasser, Published by the Islamic Center for Strategic Studies (Beirut) First Edition ٢٠١٧

٦. The Unknown God and Agnosticism: Anthony Kenny, Translated by Manal Muhammad Khalif, Published by Dar Abkalwa (Baghdad) First Edition ٢٠٢٣

٧. Humanism and Islam: A Critical Historical Approach: Muhammad Arkoun, Translated by Mahmoud Azab, Published by Dar Al-Tali'ah (Beirut), First Edition ٢٠١٠

٨. Free Faith or Post-Religion – Studies in the Philosophy of Religion: Fathi Al-Maskini, Published by Believers Without Borders (Rabat – Morocco), First Edition ٢٠١٨

٩. The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary: Muhammad Murtada Al-Husseini Al-Zabidi, Edited by a Group of Specialists, Published by the Kuwaiti Ministry of Guidance and Information – National Council for Culture, Arts and Letters – Kuwait, ٢٠٠١

١٠. The History of Science and the New Humanism: George Sarton, translated and introduced by Ismail Mazhar, Franklin Printing and Publishing House (Cairo-New York), ١٩٦١

١١. The Philosophical History of Modern Western Atheism: Walid Fiala, Mominoun Bala Hodood Publishing House (Casablanca-Morocco), ٢٠٢٤

١٢. Investigating What Atheism Represents: Muhammad Al-Mazoughi, Al-Jamal Publications (Baghdad-Beirut), First Edition ٢٠١٤

١٣. Definitions: Ali ibn Muhammad ibn Ali Al-Zain Al-Sharif Al-Jurjani, verified/corrected by a group of scholars under the supervision of the publisher, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (Beirut), First Edition ١٩٨٣

١٤. The Mosesian Distinction or the Price of Monotheism: Jan Assmann, translated by Hussam Al-Haidari, Al-Jamal Publications (Baghdad-Cologne), First Edition ٢٠٠٦

١٥. Localizing the Scientific Methodology – Philosophical, Historical, and Future Approaches: Yumna Tarif Al-Khouli, Dar Hindawi (Cairo), ٢٠٢٤

١٦. Roots of Illusion - Notes on the Abrahamic Religions: Saad Al-Yasiri, (Droub Website), electronic version

١٧. .The Essence of Religion: Ludwig Feuerbach, translated and commented by Nabil Fayyad, Dar Al-Rafidain (Beirut), First Edition ٢٠٢١

١٨. Ibn al-Amir's Margins on Ithaf al-Murid, Explanation of the Jewel of Monotheism: Muhammad ibn Muhammad ibn Ahmad Abdul Qadir al-Sanbawi al-Azhari, Edited by/ Ahmed Farid al-Muzaydi, Dar al-Kutub al-Ilmi (Beirut), First Edition ٢٠٠١

١٩. Modernity as a Religious Need: Tawfiq al-Saif, ٣rd Edition, Publisher not specified

٢٠. Emotional Life and Religious Doctrine: Mahmoud Hab Allah, Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyya (Cairo) ١٩٤٨

٢١. Religion from a Philosophical Perspective – Study and Texts: Robert S. Solomon, Translated by/ Hassoun al-Saray, Dar al-Arif for Publications (Beirut), First Edition ٢٠٠٩

٢٢. The Religious Market in the West: Darren A. Sch Companies – Christopher J. Ellison, Translated by/ Ezzedine Inaya, Safahat for Publishing (Damascus), First Edition ٢٠١٢

٢٣. The Biography of God: Jacques Myles, Translated by/ Thaer Deeb, Dar al-Hiwar (Syria), First Edition ١٩٩٨

٢٤. Al-Sihah: The Crown of Language and the Dictionaries of Arabic: Abu Nasr Ismail ibn Hammad al-Jawhari al-Farabi, Edited by/ Ahmed Abdel Ghafoor Attar, Dar al-Ilm lil-Malayin (Beirut), Fourth Edition ١٩٨٧

٢٥. The Sacred Contagion: The Natural History of Superstition: Paul Henri Thiry – Baron de Holbach, Translated by/ Lousif Rahouma, Dar Abaco (Baghdad), First Edition ٢٠٢٤

٢٦. Ten Types of Atheism – The Motives of Atheists and Skeptics... :

٢٧. Twenty Questions About God: Armin Nawabi, translated by Abdullah Ahmed, Liberal House Edition (Germany),

٢٨. Religious Belief and Its Importance in Human Life: Mahmoud Hamdi Zakzouk, gift of Al-Azhar Magazine, Rajab ١٤١٥ AH

٢٩. The Virtue of Selfishness – Towards a New Concept of Selfishness: Ayn Rand, translated by Hassan Rabhi – Mohammed Al-Suwailem, Dar Sir Ma Ra'a Edition (Saudi Arabia) second edition ٢٠٢٢

٣٠. Karl Popper's Philosophy: The Method of Science – The Logic of Science: Yomna Tareef Al-Khouli, Hindawi House Edition (Cairo) ٢٠٢٠

٣١. The Virus of Religion – Why We Believe in God: James Kirch, translated by Ibrahim Qais Jarkas, Liberal House Edition (Berlin),

٣٢. Beyond God and Religion – God as Nothingness in the Conflict of Opposites According to Emil Cioran: Boujawi Nasser Al-Din – Bouzidi Naeem, Believers Without Borders Edition (Rabat) first edition ٢٠٢٢

٣٣. Breaking the Spell – Religion as a Natural Phenomenon: Daniel Dennett, translated by Sawsan Omran, Tanit Publications Edition (Damascus – Brussels) first edition ٢٠٢٣

٣٤. How Gods Are Found – The Moon Monotheism Religion: John Keracher, translated by Ibrahim Qais Jarkas, Liberal House Edition (Berlin) ٢٠٢٠

٣٥- Materialism and Its Role in the Cognitive Construction of Contemporary Atheism Theories – Review and Critique (Thesis) ...

٣٦. The Fanatics – The Madness of Faith: Bernard Chauvier, translated by Qasim Al-Miqdad, Dar Ninawa (Damascus), ١st edition ٢٠١٧

٣٧. Lectures on the Essence of Religion: Ludwig Feuerbach, translated by Nabil Fayyad, The Liberal House (Berlin), ١st edition ٢٠٢٢

٣٨. Al-Misbah Al-Muneer Fi Gharib Al-Sharh Al-Kabeer: Ahmad ibn Muhammad ibn Ali Al-Fayoumi then Al-Hamwi, Abu Al-Abbas, Scientific Library – (Beirut)

٣٩. Miracles: Jeffrey Ash, translated by Mahmoud Munqidh Al-Hashimi, Syrian Book Authority Publications (Damascus) ٢٠١١

٤٠. The Philosophical Dictionary: Jamil Saliba, Dar Al-Kitab Al-Lubnani (Beirut) ١٩٨٢

٤١. Al-Waseet Dictionary: A selection of linguists at the Arabic Language Academy in Cairo, Arabic Language Academy (Cairo) ٢nd edition ١٩٧٢

٤٢. Informatics – The Greatest Proof of God's Existence: Amr Sharif, Dar New Book (Cairo) ١st edition ٢٠١٨

٤٣. The Concept of the Scientific Method: Yomna Tarif Al-Khouli, Dar Hindawi (Cairo) ٢٠٢٠

٤٤. From the History of Atheism in Islam: Abdel Rahman Badawi, Arab Foundation for Studies and Publishing (Beirut) ٢nd edition ١٩٨٠

٤٥. Lalande's Philosophical Encyclopedia: André Lalande, translated by Khalil Ahmad Khalil – Supervised by Ahmed Ouidat, Ouidat Publications (Beirut – Paris)

٤٥. Lalande Philosophical Encyclopedia, André Lalande, translated by / Khalil Ahmad Khalil – Supervised by / Ahmad Aouidat, Aouidat Publishing House (Beirut – Paris)

٤٦. Towards a Comparative History of Monotheistic Religions: Mohammed Arkoun, translated by / Hashem Saleh, Saqi House (Beirut – London) until ٢٠١١

٤٧. System of Nature – The Ethical and Material Laws of the World: Baron de Holbach, translated and introduced by / Manal Mohammed Khalif, Abkalo House (Baghdad) First Edition ٢٠١٤

٤٨. System of Nature – The Ethical and Material Laws of the World: Baron de Holbach, translated and introduced by

/ Manal Mohammed Khalif, Abkalo House (Baghdad) Second Edition ٢٠٢٤

٤٩. The Denial of Theology: Michel Onfray, translated by / Mubarak Al-Arousi, Al-Jamal Publications (Baghdad) First Edition ٢٠١٢

٥٠. Blind Spot Behind the Debate of Deification and Denial of Theology (Philosophical Applications and Work Notes): Abdel Moneim Al-Mahjoub, Hindawi Publishing House (Cairo) ٢٠٢٣

الفهرس